الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلميجامعة الشهيد حمة لخضر الوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

الحكمة في الشعر العربي القديم
- المتنبي أنموذجا -

مذكرة معدّة ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

إعـــــــدادالطلبة:

- ✓ آمنة نصوري
- ✓ ريمة دعاس
- ✓ محمد مساني
- ✓ نور الهدى ناصري

اشراف الأستاذ:

* عباس بلحاج

السنة الجامعية :(1436-1437هـ/2015-2016م)

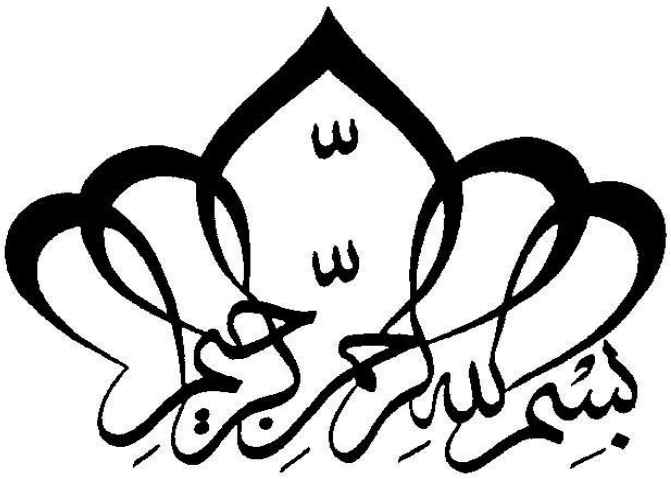

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[البقرة، 269]

اهداء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، و بعد فإنني أتوجه بالشكر و التقدير للأستاذ "بلحاج عباس" الذي وجهنا في هذا البحث، وزودنا بعديد من المعلومات و المعارف لتيسير مشقة الطريق.

كما أقدم ثمار هذا النجاح إلى الوالدين الكريمين وإلى أخي العزيز حميد

وفي الأخير نقوم بالشكر لكل من ساعدني من قريب و بعيد وكان سندا للإتمام هذا الموضوع.

مساني محمد

إهداء

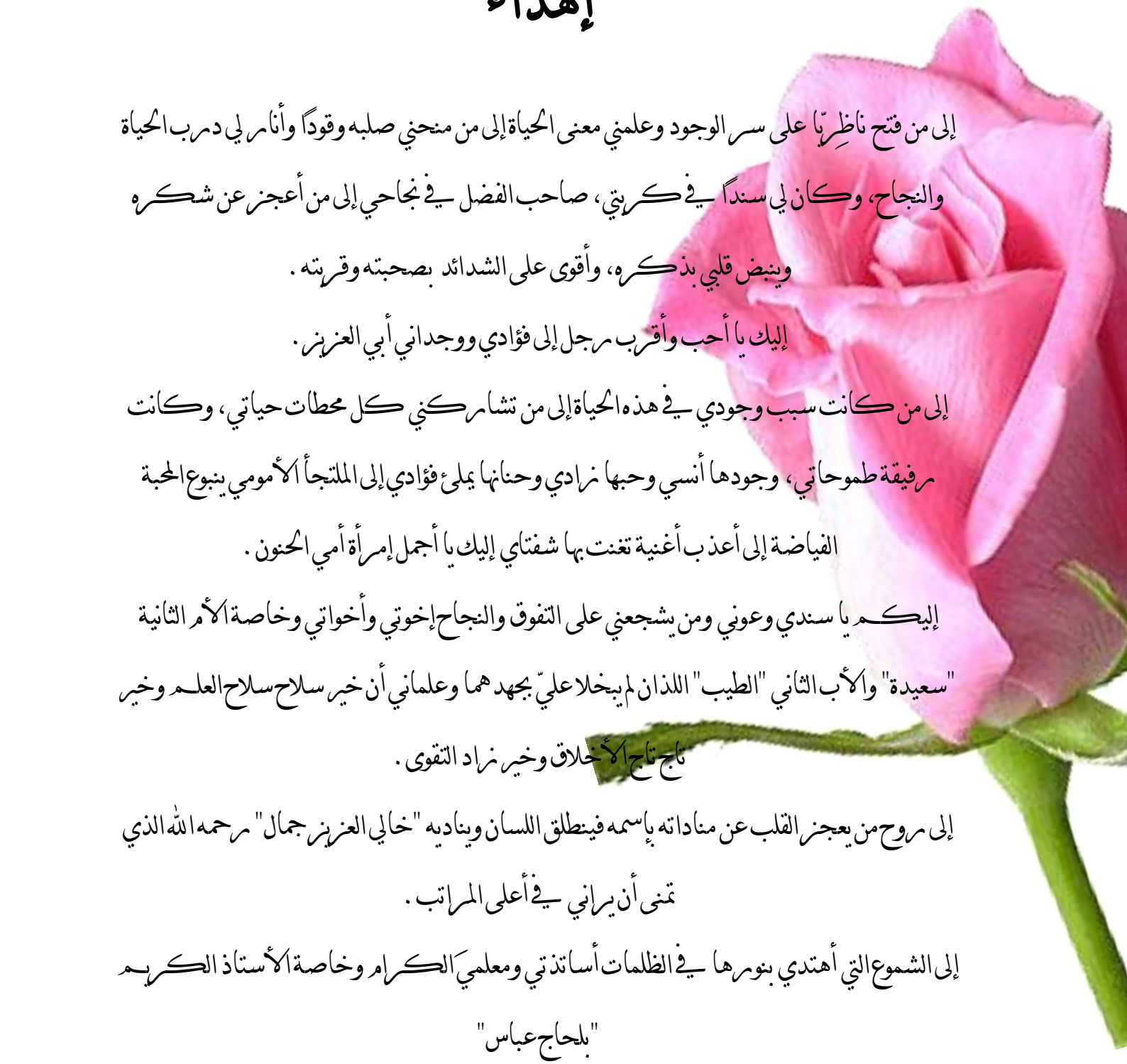

إلى من فتح ناظِرِيّا على سر الوجود وعلمني معنى الحياة إلى من منحني صلبه وقودًا وأنار لي درب الحياة والنجاح، وكان لي سندًا في كريتي، صاحب الفضل في نجاحي إلى من أعجز عن شكره وينبض قلبي بذكره، وأقوى على الشدائد بصحبته وقربته .

إليك يا أحب وأقرب رجل إلى فؤادي ووجداني أبي العزيز .

إلى من كانت سبب وجودي في هذه الحياة إلى من تشاركني كل محطات حياتي، وكانت رفيقة طموحاتي، وجودها أنسي وحبها زادي وحنانها يملئ فؤادي إلى الملتجأ الأمومي ينبوع المحبة الفياضة إلى أعذب أغنية تغنت بها شفتاي إليك يا أجمل إمرأة أمي الحنون .

إليكم يا سندي وعوني ومن يشجعني على التفوق والنجاح إخوتي وأخواتي وخاصة الأم الثانية "سعيدة" والأب الثاني "الطيب" اللذان لم يبخلا عليّ بجهدهما وعلماني أن خير سلاح سلاح العلم وخير تاج تاج الأخلاق وخير زاد التقوى .

إلى روح من يعجز القلب عن مناداته بإسمه فينطلق اللسان وينادي "خالي العزيز جمال" رحمه الله الذي تمنى أن يراني في أعلى المراتب .

إلى الشموع التي أهتدي بنورها في الظلمات أساتذتي ومعلميَ الكرام وخاصة الأستاذ الكريم "بلحاج عباس"

إلى من عشتهم الجانب المضيء من حياتي صديقات الصبا "فاطمة، آمنة، سهام ، وناسة ، خولة، مريمة" وكل صاحبات الشباب، وكل من شاركني مجهوداتي إليكم أهدي ثمرة نجاحي.

نور الهدى ناصري

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

الحمد لله رب العاملين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، والمرسلين أهدي هذا العمل إلي:

من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات، إلى أغلى إنسان في الوجود "أمي الحبيبة" .

إلى من عمل بكدّ في سبيلي وعلمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه "أبي الكريم" أدامه الله لي .

إلى إخوتي: "يونس" و"محمد" وأخواتي "عفاف" و "سارة" .

إلى أستاذي الكريم وأصدقائي في هذا العمل: "نور" و "ريمة" و"محمد"

وإلى من عمل معي بكد بغية إتمام هذا العمل إلى صديقتي ورفيقة دربي: "عائشة" إلى خطيبي: "محمود" .

وإلى كل رفقاء الدراسة خولة وليلى وفي الأخير أرجوا من الله تعالى أن يجعل عملي هذا نفعًا يستفيد منه جميع الطلبة المتربصين والمقبلين على التخرج وشكرا .

آمنة نصوري

إهداء

يقول عز من قائل في محكم تنزيله

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿واذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾

سورة البقرة الآية 152

ويقول ايضا: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾

بعد فضل الله عز وجل لا أنسى أيضا فضل التي علمتني الصبر و الحنان "أمي الحنونة"، وفضل من علمني الإجتهاد و المثابرة "أبي العزيز"، إلى كل من وثق في قدراتي "إخوتي و أخواتي" إلى صاحب العطاء أستاذي الكريم "بلحاج عباس" له الشكر والثناء الخالص على مجهوداته إلى من عشت معهم أحلى أيامي "صديقاتي".

كما أوجه بالشكر إلى كل من قدم لي يد المساعدة لانجاز هذا البحث.

أقدم لهم فرحتي ونجاحي

دعاس مريمة.

مقدمة

في العصر العباسي وفي أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي، وفي حي من أحياء الكوفة ولدت شخصية هامة وبارزة. شخصية إستطاعت أن تبرز نفسها بشجاعتها وقوة شخصيتها ألا وهي شخصية أبي الطيب المتنبي شاعر كل العصور. الشاعر الذي استطاع أنيعبر بشعره عن نطامح الإنسان العربي، عن مآسيه ووجدانياته و آماله وتطلعاته، والمتنبي كما قال عته النقاد والباحثون: "في بستان الحياة تجده شجرة رمان، كما تجده في ساحة الحرب شجرة سيوف" والمتنبي خلاصة الثقافة العربية الإسلامية في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة. هذه الفترة كانت فترة نضج حضاري في العصر العباسي، وهي في الوقت نفسه كانت فترة تصدع سياسي وتوتر وصراع عاشها العالم العربي، فالخلافة في بغداد انحسرت هيبتها والسلطان الفعلي في أيدي الوزراء، وقادة الجيش ومعظمهم من الأعاجم، ثم ظهور الدويلات والإمارات المتصارعة فيبلاد الشام، ثم تعرض الحدود لغزوات الروم والصراع المستمر على الثغور الإسلامية ثم الحركات الدموية في داخل العراق لحركة القرامطة وهجماتها على الكوفة.

وقد كان لكل وزير ولكل أمير في الكيانات السياسية المتنافسة مجلس يجمع فيه الشعراء والعلماء يتخذ منهم وسيلة ودعاية وتفاخر. في هذا العالم المضطرب كانت نشأة المتنبي وقد وعي بذكائه ألوان هذا الصراع وقد شارك فيه وهو صغير، وانغرست في نفسه مطامح البيئة فبدأ يأخذ عدته في أخذه بأسباب الثقافة والشغف في القراءة والحفظ حيث ملأ الدنيا وشغل الناس، وحضي شعره بالإهتمام في القديم والحديث، عكف عليه نقادنا القدامى بالنقد والشرح والتحليل، ما بين معجب به مأخوذ ببلاغته وعمقه، وبين ما قد يتلمس السقطة أو المعنى البعيد ليقول إنَّ أبا الطيب سرق معناه من هذا الشاعر أو ذاك.

إن إهتمامنا الشديد بشخصية المتنبي التي جعلته بارعًا في إختيار خطى سيره، والمكانة السامية التي وصل إليها بفضل لسانه، وإعجابنا بشعره في الحكمة وخاصة أثرها في النفس تلك الحكمة التي ظل يرددها الناس في كل زمان ومكان، وسيظل دوما وهذا يعد من أهم الأسباب والدوافع التي أدت إلى إختيارنا للموضوع بعنوان: **"الحكمة في الشعر العربي القديم – المتنبي أنموذجا"** ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع حاولنا التركيز على دراسة حكمة المتنبي كحانب قائم بذاته، وكيان تام البنيان، وفضل هذه الدراسة عن بقية موضوعات شعره بعد التطرق للتعرف على مفهوم الحكمة وتطورها عبر

العصور، ولهذا الغرض قمنا بوضع أو رسم خطة تتكون من مدخل وثلاث فصول متتالية وهي كما يلي:

مدخل: وتطرقنا من خلاله إلى التعريف بشعر الحكمة وماهيته وشروطه والغاية منه، وهذا المدخل نراه ضروريًا لتحديد معنى الكلمة.

الفصل الأول: قد قمنا من خلاله بدراسة شاملة لتطور مدلول الحكمة في القرن الرابع الهجري، وقد تتبعنا هذا المدلول تتبعًا تاريخيًا مصحوبًا بأهم وأبرز شعراء كل عصر كما يلي:

الحكمة في العصر الجاهلي.

الحكمة في صدر الإسلام.

الحكمة في العصر العباسي.

الفصل الثاني: وقسمناه إلى قسمين، الأول تناولنا فيه سيرة المتنبي تطرقنا فيه إلى حياته ونشأته، وأهم الصفات التي امتاز بها، وإتصاله ببلاط الدولة الذي كان له بالغ الأثر في مسيرة المتنبي وأخيرا وفاته.

أنا الجزء الثاني والذي يدور حول مصادر الحكمة في شعر المتنبي وينقسم بدوره إلى قسمين.

أ. مصادر أجنبية: وتناولنا فيها تلك الصلة المعقودة بين المتنبي والفلسفة اليونانية عامة، وأرسطو خاصة، وحاولنا بيان تأثير أرسطو المحدود في تفكير أبى الطيب المتنبي.

ودرسنا في الحالة العلمية والشخصية بين أبى الطيب المتنبي وأبى نصر الفارابي حين إجتمعا في بلاط سيف الدولة الحمداني، وكان الفارابي شديد الاهتمام بفلسفة أفلاطون وأرسطو.

ب. المصادر العربية (الأصلية): ثقافته بالشعراء السابقين منذالعصر الجاهلي، وإطلاعه الواسع على التراث العربي الأدبي واللغوي والنقدي، الأمر الذي ترك في شعره بصمات الكثيرين من الشعراء السابقين عليه، حتى اتهمه النقاد القدامى بسرقة معانيه.

الفصل الثالث: من خلاله قمنا بدراسة الأداة الفنية في شعر الحكمة وذلك من خلال اللغة، الصورة والموسيقى بنوعيها الخارجية والداخلية، أما الخصائص الفكرية فقد حاولنا من خلالها التعرف على أهم ما ينفرد به المتنبي عن غيره، في رؤيته لأمور الحياة بالنسبة لهذا الفصل.

خاتمة: وهي المرحلة الأخيرة بالنسبة لأي بحث، وفيها أبرزنا النتائج التي توصلنا إليها بعد الدراسة والتحليل لشعر الحكمة عند شاعرنا أبى الطيب المتنبي.

ولدراسة شعر الحكمة عند المتنبي اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على عدة مصادر ومراجع رغم صعوبة انتقائها والحصول علي هذه المراجع التي من خلالها استطعنا العمل وأخذ بعض الأصول والأخبار والأشعار الهامة منها:

العرف الطبي في شرح ديوان المتنبي "للشيخ ناصيف اليازجي" مع المتنبي للدكتور طه حسين، "الحكمة في شعر المتنبي" يسرى سلامة، وعلى الرغم من الجهد الذي بذلناه في إثراء هذا الموضوع ومحاولة الإحاطة به لأننا نقر بأنّ البحث لم يبلغ غايته، لأنه موضوع واسع.

وأخيرا وقبل أن نختم هذه المقدمة نرى أنه من واجبنا أن نسدي الشكر لكل من يستحقه، فإننا نتقدم بالشكر لكل من ساعدنا في البحث أيّا كان نوع المساعدة، فنعترف بجميل أستاذنا المشرف "بلحاج عباس" على ما قدمه إلينا من نصائح وإرشادات، وعلى ما أفادنا به من تجربته وخبرته الطويلة في مجال البحث العلمي.

نرجوا أن نكون قد وفقنا في تكوين وتقديم صورة للبحث كما هو مطلوب وندعو الله عز وجل أن يجعل أول هذا البحث صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا.

اللهم تقبل دعاءنا وسهل لنا طريق النجاح أنت الرحمان الرحيم بعبادك وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدّين.

مدخل

1- مدلولات الحكمة

أ. مدلول الحكمة في معاجم اللغة

ب.مدلول الحكمة في القرآن الكريم

ج. مدلول الحكمة في الفكر الانساني

2- مميزات الحكمة وشروطها.

3- الأغراض البلاغية لشعر الحكمة في العصر العباسي

4- الشعر الحكمي وأنماطه

1- مدلولات الحكمة:

أ. مدلول الحكمة في المعاجم اللغوية:

لما كان موضوع البحث يرتكز على "الحكمة" فإن اصول الدراسة تستوجب التطرق إلى المدلول اللغوي للفظ "الحكمة" بتفقد المعاجم المعتمدة.

واذن، لنستعرض مدلول الكلمة في هذه المعاجم. وأول معجم نستأنس به إنما هو "لسان العرب" [1] فقد جاء في مادة "حكم" [الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الاشياء بأفضل العلوم. والحكمة: العدل. ورجل حكيم: عدل حكيم].

وواضح من خلال هذا التعريف أن الحكمة إنما تكون من نصيب خاصة الناس حيث إنها لا تتأتى لصاحبها إلا بعد ما يتحكم في أفضلية ما وصل إليه الفكر الإنساني في جانبه العلمي والعملي.

وعندما يذكر هذا المعجم بأن الحكمة هي العدل. وعندما نتذكر بأن العدل في أسمى دلالتته يعني التنزه عن الإعتبارات الشخصية و الأهواء والنزوات، ندرك بعد الحكمة وأثرها في حياة الإنسان وما تنطوي عليه من قيم.

ويذهب صاحب معجم مقاييس اللغة[2] إلى أن "الحكمة تمنع من الجهل" والجهل لا يعني السفه والغضب والطيش وكل سلوك يبعد عن الأخلاق القويمة. والحكمة تمحو عن صاحبها كل هذه الصفات وترقى به إلى مصاف الحلم والأناة. وهذا هو المفاد من شرح الحكمة في هذا المعجم.

وعندما نبحث عن الأصل اللغوي للفظ "الحكمة" نرى صاحب متن اللغة[3] مصدر الفعل "حَكُمَ" حيث جاء "حكُم، يحكُم، حُكما و حكمة، صار حكيما، والحكيم: العالم، صاحب الحكمة.

والحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل، معرفة الموجودات وفعل الخيرات، معرفة أفضل الاشياء بأفضل العلوم.

وعليه، فإن التعريف الذي نجده للحكمة في هذا المعجم يلتقي مع التعريف الذي ذهب إليه ابن منظور في اعتبار "الحكمة" معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وكذلك الحكمة: العدل وصاحب متن اللغة يرى الحكمة في إصابة الحق"، وإصابة الحق ضرب من العدل.

---

[1] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم :لسان العرب. مادة "حكم"

[2] ابن فارس بن زكريا، ابو الحسين احمد: معجم مقاييس اللغة. مادة "حكم" .

[3] رضا، احمد: معجم متن اللغة. مادة"حكم" .

وأما المعجم الوسيط[1] في تعريفه للحكمة فإنه لايخرج هو الآخر عن اعتبارها "معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم" وبأن "الحكمة": العدل" وهو بذلك يجاري لسان العرب. غير أنه يتتبع مختلف استعمالات اللفظ في الحقل اللغوي فيذكر أن "الحكمة: العلة. يقال: حكمة التشريع. وما الحكمة في ذلك؟" إلى أن يصل إلى أن "الحكمة: الكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه ج/ حِكم".

وهذا التعريف الأخير يوحي بأن الحكمة تكون قليلة المبنى غزيرة المعنى وغزارة المعنى في الحكمة يمكن تفسيرها بأن الحكمة تكون خلاصة تجارب أثبت صحتها واقع تعامل الناس فيما بينهم على مر الأيام. ولما كانت الحكمة تصدر عن عقل راجح ورأي محكم ونظر ثاقب إلى الأمور فإنها في الغالب تكون صدى للنفوس وترجمان لما في الخواطر، ومن ثمة تنطبق على حياة معظم الناس وفي كل زمان ومكان. ومن هذا المنظور تطرقنا الى الحكمة عند المتنبي.

ومهما يكن من أمر فإنه لا يمكن مغادرة الحقل اللغوي للفظ الحكمة دون استشارة القرآن الكريم في وجود هذا اللفظ ثم في المعاني التي يدل عليها.

ب. مدلول الحكمة في القرآن الكريم:

فبالرجوع إلى الكتاب المقدس نجد أن لفظ "الحكمة" يتكرر عشرين مرة في مجموع سور الذكر الحكيم بهذه الصيغة. ويتكرر بصيغة "الحِكم" معرفة ونكرة عشر مرات.

وإن اللافت للنظر في لفظ "الحكمة" في القرآن العظيم أنه لفظ ورد في أكثر الآيات مقرونا بذكر الكتاب. ومُفاد الحكمة في مجمل هذه الآية الدلالة على ما في الكتاب الكريم من الأحكام والقيم. على نحو ما ورد في سورة البقرة الآية 129: " ﴿ٱنَّفۡسٍ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗاۖ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ١٣٩ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤١ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٩ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٠ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۖ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۚ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَواْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۚ وَأَحۡسِنُ

وعلى العموم، يدور لفظ "الحكمة" في آيات الذكر العزيز في فلك معاني الأسلوب الحكيم واللفظ اللين بما يؤثر في السامع ويفيده أو بما يدل على المواعظ البلغية والهداية الرشيدة والسداد في الرأي والنطق بما يوافق الحق. ولعل هذا ما يفسر كون لفظ "الحكمة" جاء في أغلب الذكر الحكيم مقرونا بذكر "الكتاب" ذلك أن الكتاب المقدس معجز في مبادئه وتشريعه الحكيم وأسلوبه القويم والدعوة الى الموعظة الحسنة بما يخدم الإنسان في دنياه وآخرته وقد بين ذلك صراحة في قوله: "﴿٩﴾كَبِيرًا أَجْرًا لَهُمْ أَنَّ الصَّالِحَاتِ يَعْمَلُونَ الَّذِينَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُبَشِّرُ أَقْوَمُ هِيَ لِلَّتِي يَهْدِي الْقُرْآنَ هَذَا إِنَّ"الآية(9) من سورة الإسراء. والهداية للتي هي أقوم من صميم "الحكمة" الربانية.

وبعد هذه الجولة السريعة مع لفظ "الحكمة" في الحقل اللغوي وفي رحاب الذكر الحكيم، نتطلع إلى مدلولها في الفكر الإنساني أولا ثم في العصور الأدبية التي سبقت المتنبي ثانيا وذلك تأسيسا لبعد "الحكمة" في البحث.

ج. مدلول الحكمة في الفكر الانساني:

لقد سبق الذكر بأن الحكمة – عموما– خلاصة نظر معمق إلى الكون والمجتمع، تصدر عن ذوي التجارب الخصبة والعقول الراجحة والأفكار النيرة. وهي بهذا المعنى تصدر عن فئة من الناس هي فئة التي تقدر " على فهم الارتباط بين العلة والمعلول والسبب والمسبب فهما تاما"[1] وتنظر إلى الأمور نظرة شاملة وتحللها تحليلا دقيقا ثم تصدر في شأنها حكما يظل سائرا مذكورا يعلق بالأذهان والقلوب فيجري مجرى الحكمة على الألسن عبر العصور والأزمان. لأن الناس يجدون في هذه الحكم هداية وإرشادا وتوجيها إلى ما يعينهم على الفلاح في حياتهم.

ولما كانت الحكمة تصدر عن العقل وما يصدر عن العقل مرادف لصدق الحكم وصدق الحكم لا يختلف فيه اثنان مهما اختلفت الأزمان والبيئات. والارتكان إلى العقل يعني التوافر على قدرة أساسية لأمور ثلاثة:

- الحكم على بعض الأمور بأنها صادقة والحكم على الأخرى بأنها غير صادقة.
- تقدير مختلف الاحتمالات وترجيح احتمال منها على الآخر.
- التمييز بين الحسن والقبح في السلوك والأعمال الفنية. [2]

---

[1] صليبا جميل: المعجم الفلسفي. ج1. ص 941. بيروت. دار الكتاب اللبناني. دار الكتاب المصري. 1978 .

[2] المرجع السابق، ج2، ص89 .

والمراد هنا ليس مجرد الاستحسان والاستقباح الصادر عن الأهواء والنزوات، بل أن يكون الإنسان قادرا على وضع أحكام عامة وأحكام يشعر فيها ويتمكن من صوغها في ثوب من اللغة ويعبر فيها عن هذه الأفكار تعبيرا واضحا لا لبس فيه، بحيث إذا أعلنها وتحدث بها أذعن لها أصحاب العقول في الحوار والمناقشة وهذه الخصائص الثلاث هينفسهاالتيتسهمفيبناءالحكمة وإنتاجها. وهي خصائص يشترك فيها العقل الإنساني في كل مكان وفي كل زمان. ولعل هذا ما يفسر تطابق بعض الحكم في المعنى لدى الشعوب و الأمم في عصور مختلفة وفي مناطق متباعدة.

وإن ما يجدر ذكره القول بأن بلاد الشرق تعد منذ أقدم العصور منبت الحكمة ولعل مرجع ذلك إلى كونها أقدم شعوب العالم التي نهضت بحضارات ظلت ردحًا من الزمن منارة العالم.

والعرب باعتبارهم من شعوب بلاد الشرق شاعت عندها الحكمة منذ العصر الجاهلي، غير أن ما وصل من حكم عنهم بالنسبة إلى هذا العصر لا يتجاوز حدود البساطة والنظرة الضيقة إلى المحيط الاجتماعي. وبمجيء الإسلام دين النظر والرؤية والفكر؛ أخذ نطاق عقلهم يتسع الى محيطهم الاجتماعي والحضاري بدافع تعاليم الدين الجديد[1]. وهناك أكثر من خمسين آية تدعو إلى استعمال العقل[2]، كما أن هناك تذكيرا بتعليم الله – عز وجل- لعباده الكتاب والحكمة "لَقَدمَنَّ الله. . . " والرسول (ﷺ) يحث المسلمين على طلب الحكمة " **الحكمة ضالة المؤمن حيث وجد ضالته فليجمعها إليه**". [3]

والظفر بالحكمة نعمة يحسد عليها الرجل، ففي حديث آخر للرسول (ﷺ) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): "**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**"[4]

وفي ظل هذه الثقافة الجديدة التي أخذت تطبع فكر العربي توسعت آفاق المعرفة عنده فانعكس ذلك إيجابا على منتوج العقل ومن ثمة على الفكر الحكمي؛ قوة وعمقا. ولا سيما بعدما انكب هذا العقل العربي على دراسة كثيرٍ من فلسفة اليونان وآثار الفرس وحكمة الهند.

وقد تركت كل من أمة الفرس والهند مؤلفات زاخرة بالحكم تدل على عمق في التفكير وبلاغة في التعبير.

---

[1] انظر ابو العلا مصطفى: شعر المتنبي. دراسة فنية. ص 30-31. القاهرة. مكتبة نهضة الشرق. 1976.

[2] انظر نايت، بلقاسم، مولود قاسم: الاسلام ثورة شاملة، ص13، مجلة الاصالة، رقم9، اكتوبر 1972.

وفي الفكر اليوناني نجد أن الحكمة مرتبطة بالمحبة، لتكون محبة الحكمة أو فيلو-سوفيا، والحكمة هنا تعني المعرفة العميقة الواسعة بحقائق الأمور، والعمل بما يتناسب مع هذه المعرفة طلبا لأقصى درجات الكمال.

ويروى أن فيثاغورس (497 ق. م) رفض أن يلقب بلقب الحكيم مبررا ذلك بقوله: "اسم الحكيم لا يليق بالانسان قط، بل يليق بالإله، وكفى الإنسان شرفا أن يكون محبا للحكمة وساعيا وراءها"[1] وكانت محبة الحكمة هذه عند قدماء اليونان تضم جميع العلوم. وهذه العلوم في مجموعها تستهدف معرفة العالم والإنسان، بغرض الرقي بحياة الإنسان إلى ما هو أفضل. وهذا المفهوم لا يختلف في جوهره عن المفهوم المعروف لدى الشعوب الأخرى إذ إن الحكمة مآلها التوجيه إلى الإصلاح والفلاح عن طريق الخطاب العقلي المبني على قوة الإقناع.

ومهما يكن من أمر فإن الآثار الفكرية المبنية على الحكمة كانت ولا تزال مصدر بناء شخصية الإنسان في جانبها السلوكي القويم وفي جانب عظمتها بكل أبعادها.

ومن باب صدق النظر إلى الأمور وجب التعرض إلى رفع اللبس عن الفرق بين الحكمة والمثل وذلك لما يوجد من تداخل في الاستعمال عند بعض الناس.

إن كلمة "المثل" مأخوذة من الفعل "مَثَلَ" يمثل، مُثولا" ويقال " مثل فلانا بفلان: شبه به وسواه" كما تقول هذا مَثَل الشيء ومِثله أي شبَهُه لأن الاصل فيه التشبيه. [2]

ومن خصائص المثل ايجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه و المثل ليس ناتجا عن عقلية راقية وإنما هو منتوج عقليات الشعب كله والناس جميعا مولعون وبقول المثل لأنه لا يتطلب النظر الشامل العام إلى الأمور بقدر ما يأتي تعبيرا عما يجيش في الصدر إراحة للنفوس ايفاء للموقف التخاطبي وللمثل مورد ومضرب[3].

وفي حين أن الحكمة خلاصة الخبرات والتجارب في الحياة وهي تمثل رصيد العقل الراجح وبعد النظر وعمقه غير أن أي الحكمة – تلتقي مع المثل أحيانا في الإيجاز حيث المعنى الكثير في اللفظ اليسير.

---

[1] صليا، جميل: المعجم الفلسفي، ج1،ص18.

[2] انظر، امين احمد: فجر الاسلام. ط10. ص60. بيروت 1969.

[3]

2- ميزاتها:

- تلجأ الحكمة إلى أسلوب التحذير المباشر، وهي بها تكتشف عنه من سور الترهيب والترغيب، تصدم وجدان الإنسان، وتتحدى رغباته، وتنعي عليه عجزه وقصوره وتكشف بذلك جانبا من الصراع الأبدي بين الخير والشر، وتدفع بالناس في لبِّ ملحمة هذا الصراع، داعية إياهم إلى الانتصار الكامل أو المجاهدة الدائمة. [1]

- الحكمة لا ترضى الانزواء وراء حدود إقليمية ضيقة، أو التقوقع ضمن تجارب شخصية محدودة، كما هو الحال في المثل، وإنما ترسل لتشرف على كل صقع، وتحط في كل محيط فإطارها العالم الإنساني بجميع آفاقه وأبعاده وأجناسه، فالشمول هو السمة الأساسية للحكمة لأنها لا تحمل خصائصها شعب معين وإنما تتلون بألوان إنسانية عامة.

ومن هنا نجد التشابه في حكمة حكماء الشرق القديم والحكم التي أوردها كل من أرسطو في فلسفته والمتنبي في أشعاره وشكسبير في مسرحياته. [2]

- الحكمة عبارة نهائية تتضمن معنى تاما ومحددا لا يخضع تفسيره لإضافات خارجة عنه وما ذلك إلا أن الحكمة لم ترتبط ببيئة ولم يحتكرها شعب فأودعها من خصائصه وسماته ما ميزها وطبعها بطابع إقليمي كما يفعل بأمثاله.

- أسلوب الحكمة يتجه إلى العمق والغموض، فأول ما نحكم به على أسلوب الحكمة بأنه فني «مصنوع» لأنها من إبداع فرد ينتمي إلى الطبقة الخاصة المثقفة، التي يتمتع أفرادها بالتفوق والسادة والسلطة المادية والمعنوية، وتشكل في مضامينها دستورا عاما للحكم والقضاء في المجتمع. [3]

3- شروط الحكمة:

- ترضي العامة والخاصة بها في لفظها ومعناها، ينقلونها فيما بينهم ويتفوهون بها في السراء والضراء.

- تتناول أخلاق الأمة، وعقليتها وعاداتها وحضارتها وتقدمها بحكم كانت تعارض كلامهم، فتبلغ بها محاولة من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح.

---

[1] حبيب يوسف مغنية، الادب العربي، دار الهلال، بيروت لبنان، 1995،ط1،ص2.

[2] المرجع نفسه، ص 383.

[3] المرجع نفسه، ص 384 .

- الحكمة تمثل قيما كثيرة، دينية، تاريخية، اجتماعية، سياسية، عقلية تربوية لأنها تعكس بيئة المجتمع وحياته الأخلاقية وتصرفات الفرد فيه لأنه ابن بيئته. [1]

4- الأغراض البلاغية للحكمة في العصر العباسي:

1. **الوصف:** من الفنون التي قام عليها الشعر العربي، منذ بداياته في العصر الجاهلي، وبقي موجودا لحد وقتنا الحاضر فنًا قديما مسايرًا لكل وقت وزمان، وفي العصر العباسي توسع الفن كثيرًا وتفنن الشعراء في وصفهم وتمثيل خواطرهم وما يحول بها فوصفوا ما هو جديد وبالأخص الأمور الشديدة الصلة بالحضارة: كوصف القصور والرياض والرياحين ومجالس الخمرة والغناء، بينما وصف بعض الشعراء بيئاتهم التي عاشوها من الصحراء وابل وأطلال حيث يقول فيه:

مَقَاصِيْرَ مُلْك أَقْبَلَت بوجوهُهَا عَنْ مَنظَرٍ في عَرضَ نجلةِ مُونقِ

كأن الرِياضَ الحُورَ يَكسِين لَوْنَهَا أَفَانينَ مِن أفْوافِ وشَيٍ مْلققِ[2]

2. **المدح:** توسع في هذا العصر إلى حد بعيد، ودخلت إليه المبالغة في القول. التي وصلت في بعض الأحيان إلى حد الكفر والإلحاد وتبيين قوة و عظمة الخلفاء وغطرستهم ووصفهم بصفات فوق صفات مستوى البشر، وذلك في قول أبي نواس في مدح الرشيد:

وأَخَفْتَ أَهْلُ الشِرْكِ حَتَى أنَّه لِتَخَافُكَ النُطْقُ الْتِي لم تُخلَقِ[3]

3. **الهجاء:** من الفنون التي بقيت دون توسع إن لم نقل أنه ضعف وكان يمثل في هذا العصر ضعف النفس والادعاء بلا دليل وضعف الايمان، ومن ذلك قول ابن الرومي في هجاء مغنية اسمها كنيزة:

شَاهَدتَ في بَعضِ مَا شَاهَدْتُ مَسْمَعهُ كَأَنَما يَوْمَهَا يَوْمَان في يَوْمِ

تَظَلُ عَلى ضَمٍّ مَجْلِسِهاقَوْلاً ثقيلاً عَلَى الأَسْمَاعِ كَاللَّومِ[4]

4. **الرثاء:** ويعد من فنون الشعر العربي منذ الجاهلية، وتوسع في العصر العباسي وكان إما رثاء خليفة، أو عظيم من الولاة والقادة، أو من أقارب الشاعر، كأبنائه ويتميز الرثاء بصدق العاطفة

---

[1] هاشم مناع أبو تمام الطائي لحياته، شعره، دار الفكر العربية، ص02.

[2] شوقي ضيف، سلسلة تاريخ الادب العربي، العصر العباسي الاول ص382.

[3] المرجع السابق، ص 395.

[4] المرجع السابق، ص399.

وعمقها، من ذلك قول دعبل في رثاء الرشيد:

أزيح بَطْرَسَ عَلى القَبر الزَكِيُ اِذْ مْا كُنْتَ تَرْبَح من دَيْل عَلى وَطي[1]

5. **الغزل:** وهو معروف منذ العصر الجاهلي، وقد تغزل الشعراء بالمرأة حيث كانوا يستهلون به قصائدهم الطوال من ذلك قول العباس بنالأحنف:

أَزْيَنَ نِساء العَالَمين أجَيبي دُعَاءَ مُشْوقٍ بِالعِرَاقِ غَريبِ[2]

6. **الحكمة:** عرضت في أشعار وقصائد كثير من الشعراء وتوسعت في العصر العباسي مثل قول بشار ابن برد:

إِذَا أُبْلِغَ الرَأْيُ المشُورَة فَاسْتَعِنْ بِرأْيِ نَصِيحٍ أَو نَصِيحَةِ حَازِمِ[3]

7. **الزهد:** لم يعرف في العصور السابقة كفن مستقل، بل جاء كبيت أو بيتين في القصيدة، ونظرا لتطوره الواسع في العصر العباسي يمكن اعتباره فنا قائما بذاته، له شعراؤه ولهم خصوصيتهم الشعرية ومن ذلك قول أبي العتاهية:

كُلُ حَيٍ عِندَ مَنِيتِه حَظُّهُ مِنْ مَالِه الكَفَنُإِنَّ المرْءِ لَيس لهُ مِنه إِلاَّ ذِكْرهُ الحَسَنُ[4]

8. **الشعر التعليمي:** نشأ في العصر العباسي ولم يكن معروفا من قبل، وهذا الشعر يتميز بخلوه من العاطفة وغير ممتع فقد نظم لسهولة فهم المعلومات العلمية والبيانية ومن شعراء هذا الغرض ابن عبد الحميد اللاحق في قوله:

هَذَا كِتابُ الصَوم وهُو جَامعٌ لِكُلِ مَا قَامَت عَليه الشَرَائِع.

فَمَنْ ذَلك المنزلُ فِي القُرآنِ فَضْلاً مَنْ كَان ذَا بَيَانٍ[5]

5- الشعر الحكمي:

مفهومه: وهو صدى للحياة العباسية المعقدة والحضارة الفارسية التي جاءت إلى الشعر بمعان جديدة لم تكن مألوفة للعرب من قبل. بالإضافة إلى ما استلهمه العرب من بلاغات اليونان والفرس، فصدر عن ذلك شعر عميق، مليئ بالحكم والمعاني الدقيقة التي تتطلب من القارئ تفكيرا وروية[6]

---

[1] المرجع السابق، ص414.

[2] المرجع السابق،440.

[3] شوقي ضيف، سلسلة تاريخ وآداب اللغة العربية العصر العباسي الاول، ص ص، 443-450

[4] المرجع نفسه، ص 458.

[5] مرجع سابق، 473.

[6] حامد حفني داود، تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الاول، ص 15 .

وماعرف عن شعر الحكمة ؛ أنه شعر التأملات الفلسفية، ويقوم أكثر ما يقوم على المعاني والأفكار التي تستلهمها العقول الراجحة من ظروف وأحداث ومجتمعاتها في شتى ميادين الحياة. [1]

فشعر الحكمة يعني ذلك الشعر الذي قاله الشعراء معبرين عن تجاربهم، التي مروا بها من أجل أن تكون مرجعا يرجع إليه الناس فهي تصلح لأن تنطبق على المواقف المشابهة لدى الآخرين وفي كل زمان ومكان، وهذا يدل على أنه ليس شرطا في الحكمة أن تكون صادرة عن إنسان كبير، ولكن قد تنبع الحكمة من إنسان صغير في السن[2].

فهذا النوع من الشعر وليد التجربة والتأمل معا، ويأتي في مرحلة لاحقة للشعر الغنائي، بعد بلوغ الأمة شأوا من التقدم في التفكير.

وإذا كان الشعر الغنائي ينبجس من حمأة، وهيجان المشاعر، فإن الحكمة هي بنت العقل الواعي، الذي يتأمل ويحلل ويستنتج، وهي بعيدة عن كل انفعال[3].

ومن ثم فالشعر الحكمي ليس في حقيقته شعرا خالصا، وذلك لافتقاره الى عنصرين أساسين من عناصر الشعر بمفهومه الخاص وهما :

1- عنصر الخيال.

2- عنصر العاطفة.

ومع هذا فالنفوس ترتاح إلى شعر الحكمة وتقبل عليه أينما وجدته ولعل السر في ذلك راجع الى قيمة هذا الشعر المزدوجة.

فهو من ناحية يضيف إلى تجاربنا الخاصة في حياة من سبقونا فنعيد منها ومن ناحية أخرى يظهرنا على ما يقره أو ينكره الحكماء من أخلاق وسياسة مجتمعاتهم والعرب في كل عصر من العصور لم يَقدُمُوا من حكماء عبَّروا عن آرائهم وتجاربهم الخاصة في أقوال من النثر والشعر.

6- أنماطه:

نستطيع أن نميز بين نمطين ورد فيها شعر الحكمة وهما:

✓ **النمط الأول:** أن تكون القصيدة كلها أو معظم أبياتها حكما أو إن شئت قلت: إن الحكمة تكون شائعة في القصيدة كلها أو أغلبها وغالبا ماتحتوي على حكمة أو قضية تربوية [4]

---

[1] عبد العزيز عتيق، الادب العربي في الاندلس ص 208.

[2] منذر ذيب كفافي، الشعر الجاهلي ص 186.

[3] أنطونيوس بطرس، الادب (تعريفه، أنواعه، مذاهبه)، ص69.

[4] منذر ديب لقافي، الشعر الجاهلي، ص 187.

ومثل ذلك قول الإمام الشافعي رضي الله عنه. [1]

دَعِالأَيَّامَتَفْعَل مَاتَشَاءُوَطِبنفساًإِذَاحكمَالقضاءُ

وَلاتَجْزَعْلِحَادِثَةِاللَّيَّاليفَمَالِحَوادثِالدُنيَابقاءُ

وكُنْ رَجُلاًفِي الأَهْول وَشِيمُك السَّمَاحةُ والوفَاءُ

وإِذَاكثرْتعيوبكَفِيالبَرايَا وسَرَّكَأَنْيَكُونَلَهاغِطَاءُ

تَسَتَّرْبِالسَّخَاءِفَكُلُّعَيْبٍ يُغطِّيهكَمَاقيلَالسَّخاءُ.

✓ **النمط الثاني**: أن تكون الحكمة مركزة في أبيات محددة؛ قليلة؛ قصيرة سواء أكانت هذه الأبيات أصيلة أم مقتطعة من قصائد طويلة ويتحدث الشاعر فيها عن قضية معينة أو أكثر.

يقول المتنبي:

اذَا لَمَ يَكُن مِنَ المَوت بدٌّ فَمِن العَجْزِ أَنْ تَمُوتَ جَبَانا

كُلُ مَا لَمْ يَكُنْ من الصَعْب في الأَنْفُسِ سَهْلٌ فِيها اِذا هُو كَان[2]

وإذا ماتفقدنا أشعار أبي نواس في الزهد – خصوصا– وأبي العتاهية في أرجوزته " ذات الأمثال" وابن الرومي وغيرهم من شعراء هذا العصر تبين بجلاء هذا التيار الثقافي، القائم على المزج بين العقل والعاطفة والذي أخذ يعم الفكر العربي وإذا بإرضاء العقل والعاطفة معا في ميدان الأدب يصير تقليدا عند معظم الشعراء.

ولا يمكن أن نختم الحديث عن هذا التيار الثقافي الجديد الذي جعل الاباء عامة و الشعراء خاصة "يطلبون اللذة العقلية في الفن"[3] دون أن نقف قليلا على عتبة شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (188هـ/231هـ)؛ هذا الشاعر الذي يتقصى المعاني وينزل إلى أعماقها، أقبل على دراسة العلوم الدخيلة" وأفاد منها ثقافة لم يكن للأدباء العرب عهد بمثلها من قبل. وقد ظهرت آثار تلك الثقافة في شعره، فكثرت المعاني الجديدة والأدلة العقلية وائتمام المنطق في التفكير والتأليف. إن أبا تمام هو – قبل كل شيء – ذلك الشاعر المتأمل المتبصر، الكثير الاحتفال المعاني إنه بحق الشاعر المتفلسف[4].

---

[1] الشافعي، الديوان، تح: اميل بديع يعقوب، ص 39.

[2] عمر فروخ. تاريخ الادب العربي، ص 476.

[3] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط8، القاهرة، دار المعارف 1974، ص 241.

[4] نفس المرجع، ص 253 وما بعدها.

وبالنظر إلى ماكان يطبع شعره من صعوبة وإلتواء فقد سئل: "لمَ تقول مالا يفهم؟ فقال " لمَ لا تفهم ما يقال؟" [1]، ذلك لأن الشاعر كان يعتمد في شعره على الفلسفة والتفكير الفلسفي والثقافي. ولنقرأ مطلع بائيته العصماء الذي جاء فيه:

السَّيْفُأَصْدَقُإِنْباءًمِنَالكُتُبِفي حَدّهِالحَدُّبَيْنِالجِدِّوَاللَّعِبِ

بيضُالصَّفائِحِلاسودُالصَّحائِفِ في مُتونِهِنَّجَلاءُالشَّكِّوالرِّيَبِ

فالشاعر (إما) استهل قصيدته مشيدا بالسيف- رمز القوة- والدعوة إلى الإعتماد عليه والتنديد بالتنجيم والمنجمين، وهذا من الشاعر اتجاه جديد اذ خالف مألوف الشعراء من قبله حين كانوا يفتتحون قصائدهم بالغزل وهو متشبع بالثقافة الإسلامية التي تلغي التنجيم وتدعو إلى أن الغيب لا يعلمه الا الله[2].

وتتوالى الحكم التي تتخلل هذه القصيدة الطويلة:

بَصُرْتَ بِالراحة الكُبْرى فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ اِلَّا عَلى جِسْر من التَّعَبِ [3]

والشاعر يؤكد – هنا — أن الرغائب لا تدرك إلا بالسعي والإقدام،و لا يحقق مناه إلا بالجد والكد استجابة لسنة الحياة. ولعل قوة الفكرة في هذا البيت تتمثل في كون تحقيق المبتغى مقرون بالتعب المضني الذي يصل حجمه إلى حجم جسر مثقل بالمتاعب وهنا يدرك القارئ عن طريق العقل قبل الشعور مدى قوة التعب الذي يكابده المرء في سبيل تحقيق مراده. إنها الحكم التي تخللت قصائد أبي تمام العصماء زادت المعاني قوة والتعبير جمالا والفكر خصوبة والعقل رضى.

وقد يحدث لأبي تمام أن ينظم قصيدة كلها حكم ومن هذا النوع من القصائد اقتطفنا البيت الآتي:

اِذا جَارِيْتَ فِي خُلُقٍ دَنِيء فَأَنْتَ ومَنْ تُجاريه سَواءُ[4]

فالشاعر هنا ذو نفس أبية، مترفعة عن الصغائر، حيث يدعو إلى ضرورة الترفع عن الوضيع الدني وعدم مجاراته في سلوكه لأن مجاراته في سلوكه يدل على النزول إلى وضعه.

وعلى وجه الإجمال، نقول عن هذا الجيل من الشعراء الذين اعترفوا من الثقافات الأجنبية الدخيلة واستوعبوها أنَّه كان لهم فضل لا ينكر في إضفاء طابع جديد على الشعر سواء من حيث

---

[1] نفس المرجع، ص 256.

[2] نفس المرجع، ص258.

[3] نفس المرجع، ص258.

[4] ابو تمام، حبيب بن اوس الطائي، الديوان ، تح: محمد عبده عزام. القاهرة، دار المعارف 1976.

الشكل أو المضمون. وقد كانت عنايتهم بالمضمون أقهر وأظهر، لما اتصفوا به من رقي الفكر وسمو العقل وقد تجسد هذا السمو في العقل بصورة خاصة في الحكم الواردة في ثنايا قصائدهم الشعرية أو استقلالها.

وبهذا الأسلوب في غرض الشعر مهدوا السبيل لإثراء الشعر وإغنائه وتنوير فكر الشعراء الذين جاؤوا بعدهم على دروب جديدة في النظم.

وقد يكون أبو الطيب المتنبي من هؤلاء الشعراء الذين اطلعوا على هذا المنتوج الشعري وتأثروا به فمن الثابت الذي لا سبيل إلى رده أن أبا الطيب تفحص شعر الطائيين وفي مقدمتهم أبي تمام الذي كان محط إعجابه حيث قال فيه: " أنا وأبو تمام حكيمان، أما الشاعر فالبحتري"[1] وضيف معترفا بمنزلة أبي تمام الشعرية: لن يجوز لأديب أن لا يعرف شعر أبي تمام وهو أستاذ كل من قال الشعر بعده[2]

[1] البديعي، يوسف، المبني حيثية المتنبي، ط 3، القاهرة ، تح: مصطفى السقا. محمد شتا. عبده زيادة عبده، داار المعارف، 1994، ص 143.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص، 249.

الفصل الأول:

تطور شعر الحكمة عبر العصور

أ: شعر الحكمة في العصر الجاهلي.

ب: شعر الحكمة في عصر صدر الإسلام والأموي.

ج: شعر الحكمة في العصر العباسي.

شعر الحكمة قبل المتنبي:

في الحديث عن شعر الحكمة قبل أبي الطيب المتنبي ارتأينا أن نتبع هذا الشعر تتبعا زمنيا وفق العصور الأدبية المتعارف- عليها بدأ من العصر الجاهلي و وصولا إلى العصر العباسي و هو العصر الذي ظهر فيه شاعرنا. وذلك من أجل الوقوف على خصائص شعر الحكمة قبل المتنبي لنتمكن فيما بعد من إبراز مظاهر القوة أوالضعف، التجديد أو التقليد التي تطبع شعره في غرض الحكمة.

أ- شعر الحكمة في العصر الجاهلي:

إن المتفقد لشعر الحكمة في آثار الشعراء الجاهلين لا يجيد له قصائد مستقلة بذاتها بقدر مايجده يتخلل قصائدهم الشعرية [1].

وقد استمد الحكيم العربي في العصر الجاهلي حكمته من تجارب الحياة اليومية، ومن التفكير الشخصي و الفطري، و ذلك لأن حياتهم القبلية كانت تحتاج إلى أناس يمتازون برجاحة العقل وعمق النظر ليفصلوا في المنازعات التي كثيرًا ما تتورث بينهم. و كان أولئك الرجال الذين يفصلون بينهم ويرسمون حدود الحق و الباطل هم الطبقة الحكماء أو الحكام الذين أوتوا من النظر البعيد حدة الفكرة ما يؤهلهم لثقة الأطراف المتنازعة:

((كانت العرب في الجاهلية إذا تنازع الرجلان منهم في الشرق تنافر إلى حكمائهم. . . . . فيفضلون الأشراف))

وكان العرب في الجاهلية يطلقون على المنازعات التي تثور بين –رجلين بسبب الحسب والنسب اسم (المنافرة)، وكان ((الحكيم)) عالما بأنساب القبائل و عارفا بالبطون حافظًا للأيام، أي أن من أولى مقاومات الحكمة حينذاك كانت المعرفة بتواريخ القبائل و الأنساب و الأيام.

وقد حفظ لنا التاريخ من منافرات العرب المشهورة في الجاهلية: ((منافرة)) عامر بن طفيل مع علقمة، وقد جعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية، ثم إلى أبي جهل [2] بن هشام، فلم

[1] أنظر ، أحمد أمين ، فجر الإسلام .ط1 ، بيروت 1969 ص61 .

[2] محمود شكري الألوسي : بلوغ الأرب في أحوال العرب ،ج1 .ص311.

يقولا شيئا، ثم رجعا إلى هرم بن قطبة بن سنان فحكم بينهماومنافرة هاشم بن عبد مناف و أمية بن عبد شمس الى الكاهن الخزاعي. [1]

و أورد الجاحظ أسماء جماعة من حكماء الجاهلية فقال:

((ومن القدماء ممن كان يذكر بالقدر الرياسة و البيان و الخطابة و الحكمة و الدهاء و النكراء – أي الدهاء و الفطنة: لقمان بن عاد ولقيم بن لقمان ومجاشع بن درام، وسليط بن كعب بن يربوع، سموه بذلك لسلاطة لسانه ولؤى بن غالب، وقيس بن ساعدة، و قصى بن كلاب، ومن خطباء البلغاء و الحكام الرؤساء أكثم بن صيفي، وربيعة بن حذار، وهرم بن قطبة، وعامر ابن الظرب و لبيد بن ربيعة))[2]

صحيح أن العرب قد اتصلوا بغيرهم من الأمم المجاورة عن طريق التجارة أو المدن المتاخمة لبلاد فارس (إمارة الحيرة) و الروم (غسان) وكذا عن طريق البعثات اليهودية و المسيحية و إن هذه العوامل الثلاثة كانت تحمل في طياتها بذور المدنيات الفارسية و الرومية و اليونانية لكن العرب بحكم بيئتهم الطبيعية و المرحلة الاجتماعية التي كانوا يعيشونها لم يتمكنوا من التفاعل مع مدنيات هذه الأمم المجاورة بشكل واسع فعال، و التفاعل الإيجابي بين المجتمعات إنما يتم في ظل جملة من الشروط في مقدمتها تقارب العقليات و مستوى الحضارات. [3]

وعلى العموم، يمكن القول عن المخالطين من العرب للفرس و الروم أنهم نقلوا من غيرهم مايتفق وعقليتهم ما تمكنوا أن يهضموه. و التاريخ يخبرنا أن العربي نقل – عموما – مايخف حَمْلاً على الناقل كالأمثال والحكم والقصص وحوادث التاريخ وكثيرا ما كان هذا النقل يشوه شيئا من التحريف.

وفي سياق الحديث عن ضعف المنتوج الفكري العقلي في الشعر الجاهلي جدير بالذكر أن نقول بأن الشعراء في الجاهلية لم يكونوا " أرقى عقلية وأصدق رأيا وإنما كانوا أوسع خيالا وأكثر في القول افتنانا"[4].

---

[1] المرجع السابق .

[2] الجاحظ، البيان و التبين .

[3] أنظر ، أمين أحمد : فجر الإسلام ص 29 .

[4] أنظر أمين احمد : فجر الاسلام ، ص 29.

وإن طبقة الحكام كانت أرجح عقلا وأقوى تفكيرا وأبعد رأيا من الشعراء ومن يرجع إلى أقوال وأحكام حاجب بن زرارة والأقرع بن حابس المبثوثة في كتب الأدب لا يجد صعوبة في الإقرار بهده الحقيقة "[1].

وعندما يقبل القارئ على قراءة الشعر الجاهلي بنية البحث عن شعراء وردت في أشعارهم حكماً بصورة بيانية واضحة فإنه يجد في شعر زهير بن أبي سلمى ولبيد أبي ربيعة وطرفة بن العبد ما يغنيه عن عناء البحث، فعلا يعد هؤلاء الشعراء من أبرز الشعراء الجاهليين الذين أجادوا القول في شعر الحكمة وشعرهم في هذا الغرض خير ما يمثل حكم شعراء العصر الجاهلي.

حكم زهير بن أبي سلمى (627م)

زهير بن أبي سلمى من الشعراء الذين عمروا طويلا حيث إنه عاش ما يقارب تسعين سنة فيما تذهب إليه كتب الأدب الصحيحة السند[2]. وطبيعي جدا، والأمر كذلك أن تأتيه الحكم أرسالا وتنثال عليه معانيها إنثالا بعدما بلغ من العمر عتيا . والتأمل في حكم زهير بن أبي سلمى بنية تقييمها، فإنه يدرك بأن الشاعر قد عبر عن عصارة فكرة وما استخلصه من عبرة وعظات من الحياة ولكن بعين الرجل البدوي الذي يكتفي باستخلاص العبر دون أن يسلط عليها تفكيره.

وعلى العموم يمكن تصنيف حكم زهير – من حيث معانيها – على النحو الآتية.

حكم دالة على نظرة إلى الحياة من منطلق المعاينة دون إجهاد فكر في توسيع هذه النظرة

سَئِمْتُ تَكاليفَ الحَياةِ ومِنْ يَعِشْ ثَمانين حَوْلا – لا أَبَالَكَ– يَسْأَمِ[3]

وَأَعْلَم مَا في اليَومِ والأَمْسِلَكنَّني عَنْ عِلْم مَا في غَدٍ عَمِ

فالشاعر عمر طويلا، فتكبد مشاق الحياة وصعابها، وكيف لا ؟ وقد نيف عن ثمانين سنة!والشيخوخة تضعف قدرات المرء وتعجزه فتُذهب عنه لذة الحياة لتجعله مطية اليأس والسآمة، وهذه حقيقة واقعية

[1] الجاحظ ، البيان والتبيين .

[2] الفاخوري حنا ، تاريخ الأدب العربي ، ط6. بيروت . المطبعة البوليسية . د ت . ص146.

[3] الزوزني ، ابو عبد الله الحسين بن أحمد الحسين . شرح المعلقات السبع . بيروت . دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر . 1969. ص 181

يدركها العام والخاص مثلها مثل قوله بأنه يعلم ما مضى وما حضر ولكنه يجهل ما هو آت قادم أوما سيحصل في المستقبل.

ولعله أراد بهذا المعنى أن يرد على الكَهنة والعرافين الذين يدّعون معرفة الغيب.

حكم استوحاها من صميم تعامله مع الناس واكتشافه لطباعهم على نحو قوله:

وَمنْ لَمْ يُصَانِع في أُمُور كَثيرة يُضَرَّسْ بأنياب ويوطأ بَمَنْسم

وَمَنْ يَكُ ذا فَضْل فَيَبْخَل بِفَضله على قَومه يُسْتَغْنى عنه ويُذَمَّم[1]

والشاعر هنا، يرى أن الإنسان الذي لا يظهر ليونة في معاملة الناس، فيعرض عن مصانعتهم ومداراتهم " تحولوا إلى أداة للقهر والغلبة والإذلال". [2]

وإذن فمن باب التعقل أن يضبط الإنسان نفسه فكرا ولسانا حيث إن انزلاق اللسان والإندفاع في القول كثيرًاما يسبب لصاحبه أسباب الهلاك و البغضاء. والشاعر _في هذا البيت _لا يدعو إلى المصانعة نفاقا ورياء ولكن يدعو إلى المصانعة من باب التروي والتعقل وبعد النظر .

ومثل هذا الأسلوب في التعامل الاجتماعي كثيرا ما دعا إليه المصلحون والحكماء والعلماء بعد زهير بن أبي سلمى، مما يدل على صواب نظرته إلى التعامل في الحياة الإجتماعية، وفي البيت الثاني يخبرنا بأن الإنسان الذي توافرت أفضاله و أمواله واستأثر بها دون قومه، عزله قومه ورموه بالذم والشتم، والشاعر يظهر هنا بمظهر الخبير بشؤون الناس وتصرفاتهم وكأننا به ينهى عن الفردية والأثَرة، يحذر من مغبتهما وإذن فخير للإنسان أن يجعل حظا للناس مما توافر لديه من فضل ومال، فيكون بذلك مثلا لتقديرهم وحبهم ومحط إكبارهم إحترامهم.

حكم فرضتها مبادئ المجتمع الجاهلي المبنية على العدوانية والإعتداء:

وَمَن لمَ يَذُد عَن حَوْضِه بِسِلاحِه يُهَدَّم وَمَنْ لا يَظْلِم النَّاس يُظْلَمِ[3]

---

[1] نفس المرجع ، ص 182.

[2] نفس المرجع ، ص 182.

[3] نفس المرجع السابق ، ص 182.

ومعاني هذا البيت أملتها عليه ظروف الحياة الجاهلية القائمة على القتل والإعتداء والعدوان. حيث إن الذي لا يدافع عن عرضه استباحه الناس ومن لم يسد إلى الظلم عن الناس وابعاده عنهم تعرض للظلم والعدوان، وهذا ما كان سائدا في العصر الجاهلي.

غير أنه نادى في هذا البيت إلى ضرورة تظافر الجهود لرد الظالمين ومن كف عن ذلك كان مطية ظلمهم وهي نظرة صحيحة سديدة أكدها تاريخ الشعوب والأمم فيما بعد.

حكم دالة على غوصه في النفس البشرية وإبراز حقيقتها:

وَمَنْ يَغْتَرِب يَحْسب عَدُوًا صَدِيقَه وَمَنْ لَمَ يُكْرِم نَفْسَهُ لَمَ يُكرَم

وَمَهْمَا تَكُن عِنْد إِمْرِئٍ مِنْ خَليقةٍوَإِنْ خَالَهَا تَخْفى عَلى النَّاس تُعْلَمِ

وَكَائِنْ تَرى مِنْ صَامِتٍ لَك مُعْجَبِزِيَادَته أو نَقصه فِي التَّكَلمِ

هذه الحكم نابعة من واقع الحياة الإجتماعية التي عاشها الشاعر، فكان لفكرة أن جاد بها علها تجد آذانا صاغية وقلوبا واعية فتتهذب السلوك وتتقوم الطباع ومفاد هذه الحكم أن الغربة تجعل الإنسان ضعيف التمييز بين الناس حتى لكأن العدو صديق، وإن الذي لا يوفر أسباب الكرامة لنفسه بما يبديه من حسن المعاملة وقويم الطباع واتصاف بالقيم الأخلاقية، فإن الناس صفة من صفاته فإن الزمان كفيل بأن يجعل الناس يكتشفونه وحينئذ يظهر على حقيقته، ثم يردف قائلا: إن كثيرا من الصامتين يعجبك صمتهم فتستحسنهم إنما يظهر فضل الإنسان أو عيبه عندما يتكلم . وهذه الحقيقة – كذلك– أقرها الكثير من الشعراء والأدباء والمفكرين بعد زهير وها هو الأخطل يؤيده بقوله:

إِنَّ الكَلاَم لَفِي الفُؤَاد وَإِنَّما جُعِلَ اللِسَان عَلَى الفُؤَاد دَلِيلاً[1]

ولعل ما يميز حكم زهير أنها حكم وليدة عن عقل هادئ، يعاين الظواهر ويستخلص الدروس ثم يصدر الأحكام وفق رؤية بيئية جاهلية أهلها " أميون لا يكتبون، ومطبوعون لا يتكلفون "[2]

[1] نفس المرجع السابق ، ص 185.

[2] البستاني فؤاد أفرام : الاخطل . ط6 . بيروت . منشورات الشرق . 1982.ص 110

أو قلّ فيهم من يكتب ويقرأ معًا، ومعنى هذا أن البعد الحضاري في هذه البيئة لا يزال في مهده، وهذا ما يفسر كون حكم زهير لا تعدو أن تكون تعبيرا عن خطوات فكرية أقرب إلى السطحية منها إلى نظرة تحرك موطن العقل فتأتي الفكرة حكمة ممهورة بالعمق وقد استوعبت الفنية الجمالية.

طرفة بن العبد (550م)

وهو من شعراء المعلقات عاش قليلا ولها كثيرا وشقي طويلا وكان غير مكترث بما يصيبه من نكبات الدهر بل كان يستقبل كل ذلك باستخفاف يقرب من الإزدراء.

وكأني به قد تنبأ بقول أبي الطيب المتنبي:

لاَ تَلْق دَهْرَكَ إلاَّ غَير مُكْترث مَا دَام يَصْحب فِيه رُوحَكَ البَدَن [1]

وقد كان له من المال ما دفع به إلى طلب الملاهي والملذات [2] ومما زاده اندفاعًا في اللهو وطلاب الملذات. ومازال يشرب ويسقي وينحر ويطعم حتى نفذ ماله ولم يبقَ له ما يسد به رمقه، فزاد انغماسا في السكر والخلاعة، فصار مرغوبا عن صحبته، فكثر لوامه وتباعد عنه خلانه وهجره إخوانه. عندئذ ترك طرفة قومه متأثرا من انقلاب رفقائه عليه، ولا أنيس له سوى ناقته الأمينة الضامرة التي صورها صورة حية في معلقته، ثم ما ليث أن ارتحل عن قومه ضاربا في الأرض يبحث عن مقام يليق بشأنه وهو الشاب الكريم النسب، الفصيح اللسان، الجرئ على القول والعمل، فجذب بصره بلاط الحيرة وفيه الملك عمرو بن هند وأخوه قابوس وقد التف حولهما صهر طرفة بحفاوة بالغة وجعله مع المتلمس من ندمائه وجلسائه، وكان الملك يعجب بشعره وطرفة يفخر ويتباهى وتدور الدوائر، فإذا ببلاط الحيرة يقلب له ظهر المجن فتسوء حاله وينتهي به الأمر إلى الاغتيال. [3]

ومن خلال هذا الإستعراض السريع لمسار حياة طرفة يتبين لنا أن الظروف التي مر بها تؤهله لإستخلاص العبر من الحياة وتبعا لذلك فقد وردت له حكم في ثنايا قصائده الشعرية ومما ورد من حكم في معلقته نذكر قوله:

---

[1] العسكري أبو البقاء عبد الله الحسين : لبيان في شرح الديوان ،ج4 ، مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . 1977، ص 234.

[2] أنظر حسين ،طه : حديث الاربعاء ، ط 12 ، ج1 ، القاهرة ، دار المعارف ، 1976، ص 62-63.

[3] أنظر الزوزني : شرح المعلقات السبع .ص 109

أَرَى المَوْتَ يَعْتَام الكِرَام وَيَصْطَفِي عَقْلِيَة مَال الفَاحِشِ المتَشَدِدِ[1]

أَرَى العَيْشَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيلَةٍ وَمَا تَنْقُصُ الأَيام وَالدَّهر يَنْفَدِ

والشاعر في هذه الأبيات يثير الحديث عن الموت ويرى أن هذا الموت ظالم غير منصف إذ هو يختار كرام الناس للفناء ويؤثر البخيل، المتشدد بالبقاء، ثم يستدرك ويراجع نفسه فإذا هو يدرك أن حياة الإنسان في تناقص متواصل حتى تفنى وتزول إذا بكل إنسان صائر إلى الزوال والفناء. لامحالة . وإن طال به الزمن.

والشاعر . في هذه الابيات . يقر ظاهرة وقف على حقيقتها ويسلم بصحتها جميع الناس إلا ما كان يرى بأن الموت " يصطفي ويختار " وهي فكرة نابعة عن نظرة جاهلية مثله في ذلك زهير بن أبي سلمى الذي كان يرى أن " المنايا تخبط خبط عشواء ".

وإذا ما تخطينا المعلقة وقرأنا ديوانه الشعري، فإننا نجد قريحة الشاعر تجود بما تيسر من الحكم تعبر عن تجاربه وخبراته في الحياة.

ففي مجال التكافل الإجتماعي و الحرص على دعم رابطة القرابة يقول جازما:

وَاعْلَم عِلمًا ليسَ بالظَّنِ أنَّه إِذَا ذَلَّ مَوْلَى المرْءِ فَهُو دَلِيلُ[2]

كما أنه يدعو المرء إلى ضرورة الإحتكام إلى عقله في كل ما يتلفظ به من كلام و ألا يكون أحمق فينساق وراء لسانه فتنكشف عيوبه للأخرين.

وَإِنَّ لِسَان المرءِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُحَصَاة عَلَى عَورَاتِه لَدَلِيل [3]

وفي موضع آخر يلفت الإنتباه إلى أن الحاجات يقضيها المؤهلون لها، وإذن فعلى حسن انتقاء المرسل يتوقف قضاء الحاجة.

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَة مُرْسَلا فَأَرْسِل حَكِيمًا وَلاَ توُصِهِ[4]

---

[1] ابن العبد طرفة : الديوان ، بيروت ، تحقيق عبد الله الجبوري ، 1982، ص 61.

[2] ابن العبد طرفة : الديوان ، بيروت ، تحقيق : عبد الله الجبوري ، 1982 ، ص 61.

[3] الزوزي ، شرح المعلقات السبع ، 141.

[4] نفس المرجع ، ص 61.

ثم يشير إلى فضيلة المنشورة وضرورة الإستعانة بذوي العقول الراجحة لعل في رأيهم إرشادا وحسن توجيه وسداد نصح:

وَإِنْ نَاصِحاً مِنكَ يَومًا دَنَا فَلاَ تَنْأعَنْهُ وَلاَ يُقْصِه [1]

وإِنْ بَابَ أَمْرٍ عَليكَ اِلْتَوَى فَشَاوِر لَبِيبًا وَلاَ تَعْصِهِ

ومن خلال هذا الإستعراض لبعض حكم ابْن العَبْد يتضح لنا أن الشاعر رغم قصر حياته إلاَّ أنه استطاع أن يجمع تجارب ثرية وخبرات غنية عن الحياة وعن التعامل معها، صحيح إنها مستوحاة من خبراته الشخصية ومن محيطه الإجتماعي لكنها لا تخلو من الدعوة إلى التأمل في حقيقة الإنسان وفي روافد نجاحه في الحياة، إنها حكم جاءت بها قريحته بالمستوى الذي يلائم بيئته ، و بيئته لا تطلب منه أن يأتي بحكم يعمل فيها الفكر ويغوص فيها العقل ويطول فيها النظر، لأن عصر الشاعر هو العصر الجاهلي حيث النظرة الجزئية إلى الأشياء والظواهر.

حكم ليبد بن أبي ربيعة (661 م . 41 هـ):

وهو أبو عقيل ليبد بن أبي ربيعة، تصفه المراجع الأدبية بأنه " سيد وقور، وشاعر مشعور، وحكيم مجرب"، وهو حكيم مجرب حقا، لأنه عمَّر طويلا، حيث زاد عمره عن مئة وعشر وهو القائل:

أَلَيْسَ فِي مَائة قَدْ عَاشَهَا رَجُل وَفِي تَكَامُلِ عَشْر بَعْدَهَا عُمْرٌ[2]

وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام.

وما يهمنا ـ بطبيعة الحال ـ من شعر لبيد هو ما قاله في غرض الحكمة وإذا ما قرأنا شعر لبيد باحثين عن آثار الحكمة فلن نجد أفضل من عينيته التي يرثي فيها أخاه من أمه " أربد ابن قيس " ففي هذه القصيدة تظهر نظريته إلى الحياة وتفكيره فيها وإعراضه عنها وزهده فيها، وهو قائل:

بُلِينَا وَمَا تُبْلَى النُجُوم والطَوَالِع وَتَبْقَى الجِبَال بَعْدَنَا وَالمصَانِعُ[3]

---

[1] ابن العبد طرفة ، الديوان ص 64.

[2] أنظر حسين طه ن حديث الأربعاء ، ج 1 ، ص 47.

[3] المرجع نفسه ، ص 52.

وَقَد كُنْتَ فِي أَكْنَافِ دَارِ مُضِنَّةٍفَفَارَقَنِي جَارٌ بِأَرْبَدٍ نَافِع

فَلاَ جَزَعَ إِنْ فَرق الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَكُل اِمْرئ يَومًا لَهُ الدَّهْر فَاجِع

وَمَا المَرْءُ إِلاَّ كَالشِّهَاب وَضَنُوئِه يَحُورُ رَمَادًا بَعد إِذْ هُو سَاطِع

وحكم الشاعر في هذه الأبيات وفي غيرها، لا تدعوا قارئه إلى إجهاد فكره لإدراك المعاني التي أراد أن يعبر عنها، وإنما هي معاني بسيطة لا تحتاج إلى معاناة ولا إلى مكابدة لفهمها، فهو لا يدعوا قارئه إلى التأمل معه في هذه الحياة التي تفتك يوميا بالإنسان، بينما المظاهر الطبيعية من جبال ونجوم تبقى وراءه ثابتة مستقرة. هذا الثبات والاستقرار الذي لا يقوى عليه الإنسان حيث إن مصيره الفناء والزوال ـ طال الأمد أم قصر ـ ثم يصبح نسيا منسيا ـ رمادا تذروه الرياح ـ بعدما كان في أوج قوته وفي قمة الفتوة والعطاء.

وفي مجموعة أخرى من الحكم يعتبر لبيد عن حياة الدنيا ـ إذ كل شيء فيها باطل وكل نعيم بها زائل ـ لا محالة ـ ما عدا الله عز وجل، ومايصدر عنه من نعيم كنعيم الجنة. [1]

أَلاَ كُلُّ شَيءٍ مَا خَلاَ الله بَاطِلُوَكُلُّ نَعِيم لاَ مَحاله زَائِلُ

وفي ضوء هذه النماذج من شعر الحكمة عند لبيد تتبين أن حِكمةُ نابْجة ـ هي الأخرى ـ عن نظرته إلى الحياة استوحاها من البيئة البدوية التي عاش فيها، فلم تتجاوز كونها حكما جاد بها الشاعر عن محض تجربته وخالص خبرته ولكن دون فكر ولا إطالة نظر وذلك تماشيا مع المحيط الإجتماعي الذي كان يحياه، وهو محيط –على كل حال– لا يسمح له بإجهاد فكره ولا بإطالة نظره في الظروف والأحداث التي يعيشها محيطه يشكل البدوُ أغلب سكانه وحياتهم قائمة على الرحل والترحال طلبا للماء والكلأ. [2]

وإذا كانت حياتهم هذه ـ لمن تساعدهم على تحقيق تقدم في مجال الفكر الراقي، فهناك الطبيعة المفتوحة بين أيديهم وتجارب الحياة العلمية وما يهديهم إليه العقل الفطري. وهذا كله كان خير معين

[1] الزوزني. شرح المعلقات السبع ، ص 189.

[2] أطلس محمد سعد ، تاريخ العرب ، ج1 ، بيروت ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، د ت ، ص 147.

استقوا منه تجاربهم في الحياة وحكمهم، أما الفلسفة بمفهومها العلمي المنظم القائم على البحث والتدليل والتنفيذ فلم يصل إليه العرب لأن طبيعة بيئتهم لا تسمح لهم بذلك.

وكل ما كان لهم مجرد خطرات فكرية لا تتطلب إلاّ اِلتفات الذهن إلى معان تتعلق بشأن من شؤون الحياة في جانبها المادي أو الأخلاقي. [1]

ب . الحكمة في صدر الإسلام والعصر الأموي

ظهر الإسلام فعمل على رفع مستوى العقلية العربية فكان لتعاليمه أن أثرت تأثيرا كبيرا في تغيير قيمة الأشياء والأخلاق في نظر العرب وتغيرت مقومات الحياة، حتى أنه لا يمكن القول بأن النزاع الذي كان قائما بين من أسلموا وبين من لم يدخلوا في الإسلام هو في الحقيقة نزاع بين عقليتين: عقلية جاهلية بكل ما تحمله الكلمة من معاني الطيش والسفه والأخذ بالثأر واقتراف ما حرم الدين الحنيف، وعقلية إسلامية ترى الأشياء وقيمتها رؤية جديدة. [2]

ولقد كان القرآن الكريم يشيد بالحكمة . قال تعالى: " وَلَقَد آتَينَا لُقْمَانَالحِكْمَةَ أَنِ أشْكُرِ الله. . . . " ولقد رأينا أن لفظ " الحكمة "يتردد في القرآن الكريم بالإشادة والتنويه على نحو ما جاء في سورة البقرة: " يُؤتِي الحِكْمَة. . . " والحكمة عند الرسول صلى الله عليه وسلم من أعز ما يطلب " الحِكْمَة ضَالَةُ المؤْمِن حَيثُ وَجد ضَالَته فَليَجْمعَها إليه ". [3]

ولا شك في أن العرب المسلمين المؤمنين بإدراكهم لمنزلة الحكمة في القرآن الكريم والحديث الشريف قد جنح بهم تفكيرهم إلى إجهاد عقولهم لإثبات ذاتهم بالتفكير الجاد والحكمة البليغة . وهكذا ما مضى وقت من الزمن على ظهور الإسلام حتى أخذ العقل الإسلامي ينضج ويتشبع بالتعاليم الجديدة عقيدةً وفكرًا وحكمةً فظهر حكماء عُرفوا برجاحة العقل وأصالة التفكير وبعد النظر وقد احتلوا مكانة رفيعة بين قومهم وتناقل الناس حكمهم اعترافًا بفضلهم وتقديرًا لمكانتهم وسيادتهم. [4]

---

[1] أطلس محمد سعد ، تاريخ العرب ، ج1 ،المرجع السابق ، ص 102.

[2] انظر هيكل محمد حسين. حياة محمد (ص) ، ط 9 ن مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، 1965، ص 147.

[3] أنظر . عبد الحسن : الأغراض الاجتماعية في نهج البلاغة ، ج2 ، القاهرة . المكتبة الانجلوساكسوني . ص 373.

[4] أنظر حسن حسين ابراهيم : زعماء الإسلام . مصر ،مكتبة النهضة المصرية ، د ت ، ص 69.

وفي مقدمة هؤلاء الحكماء العرب المسلمين الذين ظهروا في صدر الإسلام الإمام علي بن أبي طالب (41 هـ) كرم الله وجهه وهو الإمام التقي الورع الزاهد في الدنيا المرغب في الآخرة، يحب الفضائل ويعشق المكارم، خبر الحياة حلوها ومرها استخلص العبر والمواعظ فسجلها في حكم خالدة، استمد معانيها من الدين الإسلامي ـ دين النظر والرؤية والفكر وإن الآيات التي تدعو إلى استعمال العقل تتجاوز الخمسين والتي تدعو إلى السير في الأرض للنظر و إلى التذكير والتفكير لا تكاد تحصى ـ وكذلك مماتسرب من حكم الأمم المجاورة وقد أضفى عليها الإمام طابعا إنسانيا جعلها سائرة مذكورة في كل عصر وآن.

ومن المعروف أن حكم الإمام علي (رضي الله عنه) مرجعها كتاب " نهج البلاغة" الذي جمعها فيه الشريف الرضي وهو من سلالة الإمام ـ على ما يروى ـ وعلى الرغم من الشك الذي أثير حول ما ورد في هذا الكتاب منسوبا للإمام، غير أنه لا ينبغي المبالغة في الظن، فإن الإمام علي (كرم الله وجهه) رجل محنك. مجرب، حفظ القرآن الكريم وكان عالما ـ كالخاصة من رجال عصره ومحيطه بكثير من الحكم البليغة. صحيح إن: نهج البلاغة " ليس ثابتا كله لعلي بن أبي طالب حيث يمكن أن يكون بعض من رواه وتناقله غير وبدل في جمله وخطبه وهو أمر محتمل يحصل لكل أثر أدبي تداولتهاالألسن قبل ان تدونه الأقلام، [1] ويمكن أن يكون الشريف الرضي نفسه قد أتم بعض تراكيبه أو زاد في بعض شروحه لتوسيع فكرة غامضة أو شرح حكمة كثيرة الإيجاز.

ومهما يكن من أمر ـ يبقى الإمام علي بن أبي طالب قطبا هاما من أقطاب الحكمة في عصر صدر الإسلام، وقد جاءت الحكمة عنده وافرة المعنى، جميلة المبنى تنبض بالحياة على مر العصور والدهور، فإذا رأى مصائب البشر العديدة ونتائج أهوائهم السيئة صور لنا هذا العراك فقال: " أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع " وإذا أراد تبيين عقلية العاقل قال: " لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه ". وإذا فكر في أن الحق فوق القوة صورت مخيلته مظاهر البطش فقال: " من

[1] أنظر عبد الحسن : الأغراض الاجتماعية في نهج البلاغة ، ج2 ، القاهرة . المكتبة الأنجلو ساكسونين ، 1960، ص 373.

صارع الحق صرعه". وأولى الناس بالعفو على المذنبين –كما يقول – هم أولئك الذين يتوافرون على قدرة العقاب حيث ذكر " أولى الناس بالعفو أقدهم على العقوبة "[1].

وإذا ما تركنا الإمام علي وما ورد عنه من حكم في "نهج البلاغة " وأخذنا نبحث عن شعر الحكمة في صدر الإسلام وجدنا هذه الحكم مازالت تتخلل قصائد الشعراء مع تفاوت في إيرادها، ولعل الشاعر الذي كان أميل إلى الحكمة بالنسبة إلى هذا العصر إنما هو كعب بن زهير بن أبي سلمى.

فكعب بن زهير (24هـ) الذي رأى النور في غطفان قبيلة أمه كبشة قد نشأ في بيت يكتنفه الشعر من كل جانب حتى ليقول ابن قتيبة: " لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير "[2]وإرسال كعب للحكم وارد في شعره بدءا من البردة التي جاء فيها:

فَلاَ يَغُرَّنَكَ مَا منت وَمَا وُعِدَت إِنَّ الأَمَانِي وَالأَحْلاَمَ تَضْلِيلُ[3]

و إلى قوله:

فَقَالَت: خَلُوا سَبِيلِي لَا أَبَالِكُم فَكُلّ مَا قَدر الرَحْمَان مَفْعُولُ[4]

فالحكمة الواردة في البيت الاول " إن الأماني والأحلام تضليل " صادرة عن حقيقة المعرفة بالحياة الجادة التي لا تستجيب للأماني المعسولة ولا لأحد الكسلاء النائمين. أما الحكمة الواردة في البيت الثاني " فكل ما قدر الرحمان مفعول " فالشاهد فيها متأثرة بتعاليم القرآن الكريم، إذ إن مضمون هذه الحكمة أقرب إلى قوله عز وجل: " قَالَ كَذَلِكَ الله يَخْلُق مَا يَشَاء. . . . "[5]ومعنى هذا أن تعاليم القرآن تركت بصماتها على حكم الشعراء في هذا العصر.

وعندما تنتقل إلى العصر الأموي بتسليط الضوء على أدباء جنحوا إلى أدب الحكمة بصورة بيانية واضحة، فلا نجد من ينافس عبد الله بن المقفع (106هـ/145م) وهو فارسي الأصل، نشأ بالبصرة

---

[1]عبد المنصور عبد الفتاح :الإمام علي بن أبي طالب . بيروت . دار الفكر العربي .د ت . ص 126.

[2]ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم : الشعر والشعراء ، القاهرة . دار المعارف . 1967. ص57.

[3]ضيف شوقي : العصر الاسلامي . ط 1 .دار المعارف . 1974 . ص86.

[4]نفس المرجع زص 86.

[5]سورة آل عمران .الآية 47.

في ولاء آل الأهتم، وهم قوم معروفون بالفصاحة، وخالط الأعراب وأخذ عنهم كما تلقى العلم والأدب على يد علماء البصرة وأدبائها، وقد تقلد ابن المقفع الكتابة لعدد من الولاة، فكتب ليزيد بن عمر بن هبيرة وكان يزيد واليا لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. [1]

وبالاضافة إلى ترجمة لكتاب "كليلة ودمنة " في ميدان الحكمة نجد كتابيه " الأدب الصغير والأدب الكبير"، حيث فيه أقوال الحكماء في حسن العلاقة بين الناس والتأدب في معاملة الأصدقاء، وابن المقفع من الأدباء الذين كانوا يرون بأن الحياة للإنسان لا تستقيم ولا ينتهي بها أحد دون صديق، إن الصديق الجدير بهذا الإسم عدة في الشدة وقبس هداية في حلكة الأيام ومعين على نوائب الدهر وهذا ما جعل عبد الله بن المقفع يهتم بالصديق لأجل ذلك أثقل في شروط الصديق ونصح بالدقة التامة في إختياره، ومما يوصي به العاقل تجنب الهزل والادعاء وضبط أهواء النفس وحب السخاء إلى غير ذلك من النصائح الرائعة. [2]

وإننا نجد في الكتابين "الأدب الصغير والأدب الكبير " الأثر الفارسي واليوناني والهندي الأمر الذي جعل الحكم الواردة في المؤلفين ذات قيمة فكرية وأخلاقية من شأنها ترشيد القارئ وتنوير عقله. [3]

وأما الحكم التي كانت تتخلل القصائد الشعرية في العصر الأموي فلم تكن تختلف – عموما – عن تلك الواردة في قصائد كعب بن زهير.

وظل المفهوم الإسلامي الأول للحكمة سائدا في العصر الأموي الذي حاول العرب فيه الاحتفاظ بعروبتهم والإبقاء على تراثهم الحضاري . فالحكمة عندهم تظل مرتبطة بالعلم، ولكنها أخذت تتطلع إلى الفلسفة اليونانية بتحفظ، فيقول الجاحظ عن خالد بن يزيد بن معاوية: " وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيباً شاعراَ جيد الرأي أريبا كثير الأدب حكيما، وكان أول من أعطى

[1] أنظر احمد : ضحى الإسلام . ط 10. ج1 . بيروت . دار الكتاب العربي . د ت . ص 199.

[2] نفس المرجع السابق ، ص 201.

[3] نفس المرجع ، ص 203.

التراجمة والفلاسفة، وقرب أهل الحكمة ورؤساء أهل كل الصناعة. [1]ويقول عنه صاحب الفهرست: " يسمى حكيم آل مروان وكان فاضلا في نفسه، وله همة ومحبة للعلوم ". [2]

فالحكمة في العصر الأموي وثيقة الصلة بالعلم، ولكن دائرة العلم تتسع هنا نظرا لإتجاه الأمويين إلى الترجمة عن اليونانية– في نطاق ضيق – فتتسع تبعا لهذا دائرة الحكمة لتشمل من يدرسون الفلسفة ويعالجون أمور الكيمياء، ويمهد هذا العصر للتغير الذي يطرأ على مدلول الحكمة بعد ذلك.

ج _ شعر الحكمة في العصر العباسي

إن أهم ما يميز العصر العباسي في المجال الفكري هو النزعة إلى التجديد حيث " علت المناداة بمذهب " التخيير " أي تخير أحسن ما في الحضارات " وقد كان لهذا المبدأ آثار محمودة على العقل العربي، إذ تفتح على ثقافة الحضارات المجاورة له هذه من فارسية ورومانية ويونانية وهندية، فحصل تمازج بين الثقافة العربية وثقافة هذه الحضارات الأعجمية، وقد انعكس هذا التمازج ايجابا على العقل العربي مما أدى إلى إزدهار الحياة الأدبية، وكان أن امتاز الأدباء في هذا العصر بالأصالة والإبداع والتجديد في الشعر والنثر وذلك نتيجة لصلة الأدباء بالمنطق والفلسفة.

وترتب عن هذه الصلة إمتزاج العقل بالعاطفة في كثير من الأثار الأدبية لهذا العصر سواء ما كان منها نثرا أو شعرا، وهكذا تزايدت القصائد الشعرية التي تزدحم فيها الحكم أو إثارة قضية فلسفية وكأن الشعراء في هذا العصر أصبحوا يخضعون شعرهم للعقل أو الفلسفة أو المنطق.

ويكفي أن نرجع إلى بعض قصائد بشار بن برد وأبي نواس وأبي العتاهية وأبي تمام لنقف على هذه الظاهرة التي أصبحت تطبع الشعر العربي في بداية العصر العباسي. [3]

فهاهو بشار بن برد وهو يتحدث – مثلا – عن الصداقة والصديق متأثرا على ما يبدو بما كتبه ابن المقفع في كتابه " الأدب الكبير " – نراه يستلهم " الكلاميين في قوة البرهان والحجة، يقول :

---

[1] يسرى سلامة ، الحكمة في شعر المتنبي ، ص 28 – 29.

[2] نفس المرجع ، ص 29.

[3] أنظر شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، ص 89 – 90.

فَإِذَا كُنْتَ فِي كُلِ الأُمُور مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الذِي لاَ تُعَاتِبْه [1].

فَعِشْ وَاحِدًا أَوْصِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُمُفارِقُ ذَنْبٍ مَرأ وَمُجَانِبُهْ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرب مِرارًا عَلى القَذَىظَمِئْتَ وأَيُّ النَّاس تَصْفُو مَشَارِبُهْ

[1] فروخ عمر : بشار بن برد ، بيروت ، دار العلم للملايين ، د ت ، ص 17.

الفصل الثاني

أبو الطيب المتنبي شاعر الحكمة

1. سيرته
2. مصادر الحكمة في شعر المتنبي

سيرة أبي الطيب المتنبي

1. سيرة المتنبي:

المتنبي شاعر القرن الرابع الهجري دون منازع، استطاع بموهبته الممتازة وعبقريته النادرة أن يكون أهم شاعر ظهر فيه. وأن يخمل كل شعراء عصره، ويعتبره الباحثون أكبر شاعر أنجبته العربية في تاريخها الأدبي الطويل.

أ. نشأته وحياته:

فيحي من أحياء الكوفة، يعرف باسم "كندة" لا يسكنه إلا سقاء أو نساج. . . [1] وكان هذا الحي في الجانب الشرقي من الكوفة، وكان مؤلفا من ثلاثة آلاف بيت من بيت رواء ونساج(2).

وفي يوم من أيام سنة 303هـ ـ 915م ولد أبو الطيب المتنبي، إسمه أحمد بن الحسين الجعفي، عربي صريح، كنيته أبو الطيب ولقب بالمتنبي لأنه ادعى النبوة على بعض القبائل الضاربة في بادية السماوة بجبال الكوفة[3]، وفي كتاب "الموسوعة الأدبية الميسر " لـ: خليل شرف الدين نجد اسم المتنبي هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي، وعلى رواية ابن خلكان وابن حجر في الميزان: هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار. [4]

قالمتنبي جعفي القبيلة، وهو جعفى بن سعد العشيرة ابن مذحج –واسمه مالك– بن أدد ابن زيد، ابن يشحب ابن عربي بن زيد بن كهلان، نشا المتنبي بالكوفة ويقال، أن والده كان سقاء، يبيع الماء في حواريها ثم ارتحل الوالد بولده –المتنبي–إلى أرض الشام.

ولا يوجد ما يؤكد حرفة والده –السقاية– غير بيتين من الشعر، كان يرددها الحاقدون من الوراقين ومن الشعراء المفلسين، [5] ويكلفون أتباعهم بترديد البيتين وهما:

أيّ قَضلٍ لِشَاعرٍ يَطْلُبُ الفَضْ لَ منَ النّاسِ بُكْرةً وعَشِيًّا

---

(1) . فاطمة محمود الجوابرة، موسوعة روائع الشعر العربي ـ المتنبي ـ دار الصفاء، عمان، ط1، 2003م، 1423هـ، ص 13.

(2) . ريجيشق بلاشير: أبو الطيب المتنبي، دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة د/ إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، الجزائر، ص 240.

(3) . جورج عبدو معتوق: المتنبي شاعر الشخصية القوية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981، ص 5.

(4) . خليل شرف الدين: الموسوعة الادبية الميسرة ـ المتنبي ـ دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د ط) ، 1980، ص 24.

(5) . نوابع العرب، أبو الطيب المتنبي، دار العودة، بيروت، ط07/01، 1974م، ص 21.

عاش حينًا يَبِيعُ في الكُوفةِ المَا ءَ وحينًا يبيعُ ماء المَحَيَا[1]

أمّا والدة المتنبي، فلم يذكر الرواة عنها شيئا، ويرجح أنها ماتت في حداثته قبل سفره إلى الشام، وأما جدته لأمه فقد نقدم ذكرها، وهي التي تفردت من أسرته جميعا برائه لهما واحترامه الفخم. [2] وقد ذكر الرواة بأن جدته ماتت فرحا بكتاب جاءها منه بعد غيبة طويلة.

وما ترعرع المتنبي حتى ظهر نبيها، محبا للعلم، فكان يكثر مجالسه العلماء وملازمة مكاتب الوراقين، فيقرأ ما يقع تحت يده من كتبهم، ورأى أبوه استعداداته الطيبة لقبول العلم، فحمله إلى بلاد الشام، باديتها وحاضرتها، فجالس الكثيرين من علماء زمانه في الأدب واللّغة كالخفش وابن دريد وغيرهما وكان أول شغفه باللّغة فحصل منها الشيء الكثير، حتى كان يعد من أحفظ علماء عصره لغريبها وحوشيها، [3] وقد كان أيضا كثير الدرس يطوي معظم ليله والكتاب بيده، ولا يرحل إلا ودفاتره معه لا يستطيع عنها صببًا، وهو القائل"وَخَيْرُ جَليسٍ في الزَّمانِ كِتَابُ". [4]

توفي والد المتنبي وهو مازال حدثا، ويبدو أن أبا الطيب لم يعرف أمه قربته جدته لأمه وهي التي غرست في قلبه حنانا لم يضعفه مرور الأيام؛ وكانت أفكار المتنبي تتجهفي ساعات المحن إلى جدته التي أقامها مقام أمه. [5] فقد أدخلته المكتب العلوي بالكوفة حيث أخذ قسطا من الشعر والأدب واللّغة، لكن حياة طلاب المكتب ونمط عيشهم وسلوكهم لم تكن لتروق له. [6]تبثها فرق القرامطة والإسماعيلية، مبشرة بظهور المهدي من أعقاب علي، يرسل الله ليطهر الأرض ويملأها عدلا بعد ما ملئت جورا وفسادا، فكان أبو الطيب يتلقى هذه الأفكار منذ صباه فيتمثل المهدي ويتصوره بخياله وينظر إلى هذه الأحوال القلقة، ويقلبها على وجوهها. فثار على الأوضاع البالية عله يحقق مجدا وسيادة، فدعا البدو إلى اتباعه فتبعوه لجهالتهم وفقرهم. [7]

---

[1] . خليل شرف الدين: الموسوعة الأدبية الميسر ة–المتنبي– ص 19.

[2] . عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2004م، 1424هـ، ص 18.

[3] . جورج عبدو معتوق: المتنبي شاعر الشخصية القوية، ص 5–6.

[4] . بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام: ج1، دار مارون عبود، (د ط)، 1979، ص 327.

[5] . ريجيس بلاشيمر: أبو الطيب المتنبي، ص 41.

[6] . خليل شرف الدين: الموسوعة الأدبية الميسر ة–المتنبي– ص 26.

[7] . جورج عبدو معتوق: المتنبي شاعر الشخصية القوية، ص 6.

ب. صفاته وأخلاقه:

إن الصفة البارزة عند المتنبي والتي تظهر في شعره كله مدحًا كان فَخرًا أو هجاء أو حكما أو غزلا أو رثاء أو وصفا وهي القوة وشعوره بعظمته وتفوقه، ولعل إحساس المتنبي بالعظمة هو الذي جعل ذاته المتفوقة تبلغ حدا مرضيا، كان من صفاته التي خاض فيها الباحثون كثيرًا، رأى بعضهم أنه يعاني من جنون العظمة أو من عقدة نرجسية ورأى آخرون أن هذا الإحساس بالعظمة إستجابة طبيعية لذكائه وتفوقه وزاد من إحساس المتنبي بذاته المتفوقة أن حساده كانوا له بالمرصاد. [1]

ومن أبرز صفاته التي انعكس أثرها على أخلاقه، طموحه؛ طموح لا تحده حدود، طموح جعله لا يدري ما يريد من الأيام، لذلك شقي المتنبي بطموحه كثيرًا، فكان الطموح مع إثارة القوة عاملين مؤثرين في صلته بالحياة والأحياء من حوله. وقد دفعه هذا الطموح أن يلقي مراسيه مطوفا في بلاطات الحكام والأمراء، ويرجح بعض الدارسين أن طموحه كان ثمرة لعصره المثقل بالاضطرابات والدسائس.

كما أن الصدق كان من صفات المتنبي: صدق جعله يترفع عن الكذب إذ لا يليق بأمجاد الرجال، يقول المتنبي في الصدق:

فِي الصِدْقِ مَمْدُوحَة عَنْالكَذِب والجِدُّ أَولَى بِنَا منَ اللّعب[2]

كما عرف في المتنبي شجاعته وأنفته وعلو همته، وغيرها من صفات أصلتها نشأته في أعماق البادية، وما صحب ذلك من كثرة رحلاته التي تعرض فيها للكثير من مشقات الطريق ومتاعب السفر. [3]

وقد جاء في كتاب المتقن في تاريخ الأدب العربي للدكتورة إيمان البقاعي أن المتنبي كان يحرم على نفسه الخمر حفاظا لعقله. [4]

فيقول:

وأَنْفُسُ مَا لِفَتَى لبُّه وذو اللُّب يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ

---

[1] . عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان المتنبي ، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، 1424هـ، ص 323–323.

[2] . الموسوعة العربية العالمية: المتنبي.

[3] . عبد الله القطاوي: القصيدة العباسية، قضايا واتجاهات، دار غريب، القاهرة، ط2، (د ت)، ص 300.

[4] . إيمان البقاعي، المتقن في تاريخ الأدب العربي(الموضوعات الأدبية)، دار الرائد، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص 253.

وكان وفيا مخلصا لأصحابه، ويكره الرياء والخداع أيضا.

وهذه أقوال بعض معاصريه في أخلاقه:

قالابن فورجة: (400هـ/1009م): "كان المتنبي داهية، مر اللّسان، شجاعًا، حافظا للأدب، عارفا بأخلاق الملوك ولم يكن فيه ما يشينه ويسقطه إلا بخله وشرهه على المال". [1]

وقال صاحب الإيضاح: "وكان المتنبي مر النفس صعب الشكيمة حادًا مجدا".

أما أبو الفتح بن جني فقد قال عن المتنبي: "من الجد فيما يعانيه، ولزوم أهل العلم فيما يقوله ويحكيه، على أسد وتيرة، وأحسن سيرة. . . وحقا أقول لقد شاهدته على خلق قلما تكامل الا لعالم موفق". [2]

ج. اتصاله ببلاط الدولة 337هـ ـ 346هـ:

بعد إطلاق سراح المتنبي، حتى أخذ يجول في أقطار البلاد الشامية مادحا أعيانها منطلقا مطوقا على الآفاق طالبًا المعالي، فحدث له أن عرف شيئا من السموَّ والخطوة عند بعض الأمراء يعيد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف، وحال في بلاد الشام حتى اتصل بأبي العشائر بأنطاكية حيث كان واليًا عليها من قبل سيف الدولة ومدحه بعدة قصائد أولها :

أَتَراهَا لِكَثْرةِ العُشَّاقِ تَحْسِبُ الدَّمْعَةَ خِلقةً فِي المآقِي[3]

وأتيح له شيء من الشهرة حتى أصبح ذا الوجاهة يتعرضون له ليمدحوا على نحوها ما فعل ابن "ليلغ" وكان يومئذ على طرابلس بعدما كان في حمص فمر به أبو الطيب و كان متوجها إلى أنطاكية فسأله أن يمدحه عاملا لعدوه الأخشيدي؟ ومازال يماطله حتى تسنى له بالهروب بعد أربعين يومًا. [4]

وهجاه بقصيدته الشهيرة التي مطلعها:

لَهْوَة النُفُوسِ سَرِيرة لاَ تَعْلم عَرضًا نظرتْ وخِلتُ أني أَسْلَمُ[5]

---

[1] . عبد الوهاب عزام: ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، دار المعارف، مصر، ط3، 1968م، ص 13.

[2] . عبد الوهاب عزام، ذكر أبي الطيب بعد ألف عام، ص 13.

[3] . العبري البيان، فيشرح الديوان، ص 40.

[4] . جوزف الهاشم : أبو الطيب المتنبي ، ص 8.

[5] . الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ص 342.

ولما نزل بأنطاكية أكرمه أبو العشائر وأحسن مثواه وكان سبب اتصاله بسيف الدولة، ولما قدمه هذا الأخير إلى سيف الدولة فأثنى عليه ونضره بمنزلة من الشعر والأدب.

سبب تسمية المتنبي:

وهي ظاهرة ادعائه بالنبوة، التي جرى القدماء والمحدثين وكثير من المؤرخين فيها ، يقولون أنها سبب دخول المتنبي إلى السجن من خلالها بتأويلات شتى، حيث يزعم بعظهم أن أبا الطيب حينما شعر بالتقاء شعراء البادية حوله، وإقبالهم عليه أراد لنفسه تمكينا في قلوبهم وسلطاناً أوسع، وجاها أعلى فادعى النبوة فكان هذا الادعاء سبب سجنه. [1]

وبالرجوع إلى المرجع والمصدر الذي تناولت فيه الحديث عن حياة المتنبي نجد أنّ الذين كتبوا عن الشعراء في هذا الباب كانوا ذوي مواقف متباينة بين القدامى والمحدثين.

موقف القدامى: ويمكن حصره في ثلاث فئات:

الفئة الأولى: هذه الفئة قبلت إدّعاء النبوة كالبغدادي وابن خلكان والبديعي والخطيب والبغدادي وغيرهم.

الفئة الثانية: وهذه الفئة محافظة لم تستبعدها كالثعالبي الذي ذكر أمر نبوته كرواية لا يتحمل مسؤوليتها، وأورد قصة خروجه طمعًا في السلطان.

الفئة الثالثة: وهذه الفئة تنكر على المتنبي أمر نبوته ومنهم أبو العلاء المعري.

موقف المحدثين:وهنا يمكن أن نقسمهم إلى ثلاث فئات :

الفئة الأولى: قبلت ادعاءه النبوة ومن أعلامها سعيد الأفغاني.

الفئة الثانية: وهي فئة متحفظة ومن أعلامها عباس محمود العقاد. [2]

الفئة الثالثة: وهي فئة تنكر على أبي الطيب أنه ادعى النبوة ومن أعلام هذه الفئة طه حسين، محمود شاكر، عبد الوهاب عزام، محمد عبد الرحمان، هادي نصور، وغيرهم. [3]

---

[1] .الثعالبي: يتيمة الدهر، ص 86.

[2] . فتحي أسعد إسماعيل نعجة: الشخصية الإسلامية في شعر المتنبي، ص103.

[3] . المرجع السابق، ص 104–105.

موقف المستشرقين: إنَّ المستشرقين أمثال بلاشير، بروكلمان وماسينون، ينكرون ادّعاء المتنبي النبوة وينسبون إليه القرمطة. [1]

أما الجناية التي سجن من أجلها شاعرنا فيخالف فيها شاعرنا سيرته ويختلف الرواة فيما بينهم وفي تاريخ الخطيب البغدادي روايتان هما أصل لمعظم الروايات التي رويت في هذه المسألة:

الأولى: إن أبا الطيب خرج إلى قبيلة الكلب وأقام فيهم ادعاء أنه علوي حسني لم أدعي النبوة، م عاد وادعى مرة أخرى إلى أن أُشهر عليه بالكذب وحبس دهرًا طويلًا، وأشرف على الهلاك ثم أسْتُتِيبَ عليه بالتوبة.

الثانية: وقد جاء فيها: "اخبرنا التنوخي، حدثنا أبي قال: حدثني علي ابن حامد سمعت خلقا في حلب يحكون وأبو الطيب بها وقتئذٍ أنه تنبأ في بداية السّماوَةِ ونواحيها إلى أن خرج عليه لؤلؤة أمير حمص من قبل الأحشدية فقابله وأَسرهُ، وشُرد من كان إجتمع عليه من كلب وكلاب وغيرهما من القبائل، وحبسه في السجن طويلًا فأعتلَّ وكاد أن يهلك حتى سئل في أمره فإستتاب وكتب عليه وثيقة أشد عليه بطلان ما إدّعاه ورجوعه للإسلام".

وفاته: وهكذا كتب للمتنبي أن ينطفئ نجمه يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة 354هـ ورحل معه ابنه محسّد وفلامه له يدعى مفلحًا، [2] وقد وجد مقتولًا واختلف الرواة في مقتله:

فمنهم من يقول أنَّ فاتك ابن أبي جهل بن فراس الأسدي هو الذي قتله، بعد ما ترصد له بمعية جماعة من بني قومه، والسبب في ذلك يعود إلى "هجاء المتنبي لابن أخته ضبّة بن يزيد العتبي وإفحاشه في الهجاء بصورة تمس الغرض وتخدش الشرف[3] فكان لهذا الهجاء اللاذع أن أثار حميَّة فاتك فثأر لابن أخته".

ومنهم من يذهب للقول أنّ لمعز الدولة البويهي يد في قتل المتنبي لأنه أظهر له إستخفافًا به وبوزيره المهلبي ولم يمدحهما حينما وفد عليها بل أعمل على تسليط لسانه للنيل من العجم وتعريض العرب

---

[1] . المرجع نفسه، ص 105.

[2] . شاكر محمود محمد: أبو الطيب المتنبي، ص 52.

[3] . المرجع نفسه، ص 50.

ضدهم، الأمر الذي جعل معز الدولة البويهي يتربص له السوء وقد وجد في فاتك خير منفذ لمكيدته في قتل المتنبي. [1]

ولئن إختفى المتنبي بجسده فلم يختف بأشعاره التي أثرت لغة الضاد فمنحتها مجدا عظيما وتراثا خالدا تسامى بروائع الحكم وآيات البيان.

وقد صدق له مأثور أشعاره يقول له إذ أردت أن تربي الشباب العربي على الأخلاق التي تمكنهم من الثبات على زلازل هذا العصر، أن ترويهم شعر شاعر يتخذونه أسرة، فهل تجد بعين امرئ القيس وأحمد شوقي من يسامي أبا الطيب في هذا الشأن؟[2]

مصادر الحكمة في شعر المتنبي:

أ. ثقافة المتنبي الفلسفية وصلته بأرسطو:

أورد أبو البقاء العكبري في شرحه على ديوان المتنبي [3]الكثير من المقابلات بين حكم المتنبي وأقوال "الحكيم" الذي لم يذكر اسمه، ولم ينص عليه صراحة وربما كانت العرب—في ذلك الوقت— تعني أرسطو حيث تتكلم عن "الحكيم" ذلك لأن الكتب التي درج مؤلفوها على إطلاق لفظ "المعلم الأول" و "الحكيم" على أرسطو متأثرين في ذلك بالنقول والترجمان التي غمرت سوق الثقافة العربية في القرنين الثالث والرابع الهجريين جعلت من الممكن أن يأتي أبو البقاء العكبري بكلمة "الحكيم" في شروحه وهو واثق من فهم القارئين لهذا اللقب.

وربما كان إيراد بعض المواضع التي نص فيها أبو البقاء العكبري على تأثر المتنبي بحكم اليونان عامة، وأرسطو "المعلم الأول" و "الحكيم" خاصة معينا لنا على تبيين أوجه الصلة بين المتنبي والثقافة اليونانية على وجه العموم، وأرسطو أو المعلم الأول على وجه الخصوص.

يقول العكبري وشارحا الأبيات التالية:

سَبَقْنَ إِلَى الدُّنيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا ماعانيناها من جيئةٍ وَذَهَبِ

---

[1] . المرجع نفسه، ص 50.

[2] . عبد الوهاب عزام: ذكر أبي الطيب بعد ألف عام ، ص 126.

[3] . ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العبكري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وابراهيم الأبيار وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة الحلبي، ج1، القاهرة، 1956م، ص47

وهو مأخوذ من قولهم في الموعظة: "إنما في أيديكم أسلاب الهالكين وسيتركها الباقون كما تركها الأولون، وهذا من نهج البلاغة".

وهذا البيت من الحكم، قال الحكيم: (من علم أن الكون والفساد يتعاقبان الأشياء لم يحزن لورود الفجائع، لعلمه أن من كونها، فهان عليه ذلك لعجز الكل عن دفع ذلك). [1]

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبْت عَلَى عَيْنِهِ حَتَى يَرَى صِدْقَهَا كَذِبًا

هذا البيت فيه حكمة لم يذكرها الواحدي، وهو من قول الحكيم. (ليس ترداد حركات الفلك إلا نعيل الكائنات عن حقائقها). [2]

والإتجاه الفلسفي اليوناني بارز في تلك العبارة:

فَحَبَّ الجَبَانُ النَّفْسُ أَوْرَدَهُ التُقى وحَبَّ الشُجَاعُ النَّفْسُ أَوْرَدَهُ كرْبًا

وهذا البيت من الحكمة، قال الحكيم: (النفس المتجوهرة تأبى مقارنة الذل جدا، وترى فناءها في طلب العزّ حياتها، والنفس الدنية بضد ذلك) ومنه يبين أبو الطيب هذا[3]

كَثِيرَ حَيَاةَ المرْءِ مَثَلٌ قَلِيلُهَا يَزُولُ وَبَاقِي عُمْرِهِ مَثَلٌ ذَاهِبٌ

هذا من أحسن الكلام يحث على الشجاعة وينهى عن الجبن. . . وهذا من كلام الحكماء.

قال الحكيم: (وآخر حركات الفلك كأوائلها، وناشئ العالم كلا يتشبهان في الحقيقة لا في الحس)[4]

تَبْخَلٌ أَيْدِينَا بِأَرْوَحِنَا عَلَى زَمَانٍ هُنَّ مِنْ كَسْبَهِ

هذا الكلام من كلام الحكيم قال: (إذا كان تناشؤ الأرواح من كرور الأيام فما لنا نعاف رجوعها إلى أماكنها). [5]

فَهَذِه الأَرْوَاحُ مِنْبَوْهٍ وَهَذِهِ الأَجْسَامَ مِنْ تُرْبِهِ

---

[1] ديوان أبي الطيب المتنبي ج1، ص 49.

[2] ديوان أبي الطيب المتنبي ج1، ص 56.

[3] ديوان أبي الطيب المتنبي ج1، ص 56.

[4] ديوان أبي الطيب المتنبي ج1، ص 147.

[5] ديوان أبي الطيب المتنبي ، ج1، ص 210.

وهذا من قول الحكيم حيث يقول: (اللطائف سماوية والكثائف أرضية وكل عنصر عائد إلى عنصره). [1]

يَمُوتُ رَاعِي الضَأْنِ فِي جَهْلِهِ مَوْتُهُ جَلِينُوسَ فِي طِّبِهِ

وهذا من أحسن الكلام وألطفه وأبينه. [2]

وَغَايَةٌ المُفْرِطِ فِي سِلْمِهِ كِغَايَةَ المُفْرِطِ فِي حَرْبِهِ

وهذا من أحسن الكلام، وهذا من قول الحكيم حيث يقول(آخر إفراط التواقي أول موارد الخوف). [3]

وَوَضْعُ النَّدَى فِي موضِعِ السَّيفِ بِالعُلاَ مُضِرٌّ كَوضْعِ السَّيفِ في وَضعِ النَدَى

وهذا منقول من كلام الحكمة، قال الحكيم: (من جعل الكفر في موضع البديهة فقد أضر بخاطره، وكذلك من جهل البديهة في موضع الفكر). [4]

فَلَا مجدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجدُهُ

وهذا كله من قول الحكيم: (أعظم الناس محنة من قلَّ ماله، وعظم مجده، ولا مال لمن كثر ماله وقلَّ مجده). [5]

مَنْ يُنْفِقْ السَاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالذِي فَعَلَ الفَقْرُ

قال الحكيم: (من أفنى مدته في جمع المال خوف الفقر والعدم، فقد أسلم نفسه للعدم). [6]

مَنْ مُبْلِغُ الأَعْرَابِ أنِّ بَعْدَهَا شَاهَدْتُ رَسْطَاليسَ وَ الأَشْكَنْدَرَا

وَسَمِعتُ بِطَلَيموسَ دارس كتبهِ مُتَمَلِكِا مُتَبَدِيًا مُتَحَضرًا.

---

[1] . ديوان أبي الطيب المتنبي ، ج1، ص 210.

[2] . ديوان أبي الطيب المتنبي ، ج1، ص 210.

[3] . الحكمة في شعر المتنبي، دكتورة يسرى سلامة، أستاذ مساعد، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2009م، ص 51.

[4] . الحكمة في شعر المتنبي، دكتورة يسرى سلامة، ص 51.

[5] . ديوان أبي الطيب المتنبي ، ج2، ص 22.

[6] . ديوان أبي الطيب المتنبي ، ج2، ص 148.

يقول: سمعت بطليموس، يريد به الممدوح، لأنه كان حكيما عالما جمع بين أفعال الملوك، وفصاحة البدو، وظرف الحضر، بدرس كتبه في حال جمعه بين الملوكية والبدوية والحضرية وسماه بطليموس لمشابهة له في الحكمة والعلم. [1]

إذَا إعتَادَ الفَتى حوضَ المنَيَا فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُ بِهِ الوَحُولُ

وهذا منقول من كلام الحكيم حيث يقول: (نفوس الحيوان أغرض لحوادث الزمن). [2]

بُرَادُ مِنْ القَلْبِ نَسْيَانَكُمْ ويأْبَى الطِبَاعُ على الناقِلِ

وهذا البيت من قول الحكيم قال الحكيم: (نقل الطباع من رديئ الأطماع شديد الإمتناع). [3]

بَذَى الغَبَاوَةَ مِنْ أَنْشَادِهَا ضَرَرُ كَمَا تَضُرُّ رِيَاحُ الوَرْدِ بالجَعْلِ

وهذا من قول الحكيم: (الألفاظ المنطقية مضرة بذوي الجهل ليبنوا إحساسهم عنها). [4]

وَالهَجْرُ أَقْتَلُ لحَي مِمَّا أُرَاقِبُهُ أنا الغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ البَلَلِ

وإنما نقله من كلام الحكيم: (من علم أن الغناء مستول على كونه، هانت عليه المصائب). [5]

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعِهِ الشَمْسُ مَا يُغْنِيكَ عن زُحَلِ

وهذا من قول الحكيم: (العيان شاهد لنفسه والأخبار يدخل عليه الزيادة والنقصان، فالأولى ما أخذ ماكان دليلا على نفسه). [6]

وأَتْعَبُ مَنْ نَادَاكَ مِنْ لَا تُجِيبَهُ وأَغْيَظَ مَنْ عَادَّاكَ مِنْ لَا تُشَاكِلُ

هذا من قول الحكيم (ليس التنائي بمباعدة الأجسام). [7]

وإذا الشَّيْخَ قَالَ أُفٍ فَمَا مَدَّ حَيَاةً وإنَّما الضُعْف مَلاَّ

وهو منقول من قول الحكيم: (الكلال والملال يتعلقان بالأجسام لضعف آلة الجسم). [8]

---

[1] . ديوان أبي الطيب المتنبي ، ج2، ص 170.

[2] . ديوان أبي الطيب المتنبي ، ج3، ص 3.

[3] . الحكمة في شعر المتنبي ، الدكتورة يسرى سلامة، ص52.

[4] . الحكمة في شعر المتنبي، ص 53.

[5] . الحكمة في شعر المتنبي، ص 53.

[6] . ديوان أبي الطيب ،ج3، ص 81.

[7] . ديوان أبي الطيب ،ج3، ص 117.

[8] . الحكمة في شعر المتنبي، ص 53.

أبَداً تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْيا ... فيا لَيْتَ جُودَها كانَ بُخْلا

وهو من قول الحكيم: (الدنيا تطعم أولادها وتأكل أولادها). [1]

مَنْ أَطَاقَ التَمَاسَ شيء غَلَابًا وإغْتَصَابًا لِمَ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالاً

وهو من قول الحكيم: (الغلبة طبع الحياة والمسألة طبع الموت، والنفس لا تحب الموت، فلذلك تحب أخذ الشيء بالغلبة). [2]

غَثَاثَةُ عَيْشِي أنْ تَغَثّ كَرامَتي وَلَيسَ بغَثٍّ أنْ تَغَثّ المآكلُ

وهو من كلام الحكيم: (عدم الغنى من النفس أشد من عدم الغنى من الملك والمال). [3]

ومَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرّاً بهِ المِاءَ الزُّلالا

وهو من قول الحكيم:

أنْعِمْ وَلِذْ فَلِلأُمورِ أَواخِرُ أبَدًا إذّا كَانَتْ لَهُنَّ أَوائِلُ

(النفس الكريه ترى الأشياء حسنة)[4]

وهذا منقول من كلام الحكيم: (كل ما كان له أول تدعو الضرورة إلى أن له آخر). [5]

ذِكْرُ الفَتَى عمْرُهُ الثَانِي وَحَاجَتَهُ مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ العَيشِ أشغَالُ

وهذا مأخوذ من قول الحكيم: (تخليد الذكر في الكتب عمر لا يبيد، وهو كل يوم جديد). [6]

وإذَا كَانَتْ النُفوسُ كِبَارًا تَعِبَتْ في مُرادِها الأجْسامُ

وبيت أبي الطيب من كلام أرسطاليس: (إذا كانت الشهوة فوق القدرة، كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة). [7] وهنا ينص صراحة على أنه من قول أرسطو.

---

[1] . ديوان أبي الطيب ،ج3، ص 123.

[2] . ديوان أبي الطيب ،ج3، ص 147.

[3] . ديوان أبي الطيب ،ج3، ص 178.

[4] . ديوان أبي الطيب ،ج3، ص 224.

[5] . ديوان أبي الطيب ،ج3، ص 253.

[6] . الحكمة في شعر المتنبي، ص 54.

[7] . الحكمة في شعر المتنبي، ص 54.

ومَا إِنْتِفَاعُ أخَى الدُّنيَا بِنَاظِرِهِ إِذَا اسْتَوَت عِندَهُ الأَنْوَارُ والظُّلَمُ

وهو منقول من قول الحكيم أرسطاليس: (إعتدال الأمزجة، وتساوي أركان الإنسان، تفرق بين الأشياء وأضدادها). [1]

إِذَا تَرَحَّلْتَ عنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدِرُو أَن أنْ لا تُفارِقَهُمْ فالرّاحِلونَ هُمُ

وهو منقول من كلام الحكيم: (من لم يردك لنفسه فهو الثاني عنك وإن تباعدت أنت عنه). [2]

أَرَى أُنَاسًا مَحْصولِي عَلى غَنمٍ وَذِكْرُ جُودٍ ومَحْصُلِي عَلَى كَلَمٍ

وهو من كلام الحكيم: (من كان همته الأكل والشرب والنكاح، فهو بطبع البهائم، لأنا نعلم أنها متى خلى بينها وبين ما تريده، لم تفعل شيء غيره). [3]

مَنْ يَهُن يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ

وقد نقله أبو الطيب من كلام الحكيم: (الفرق بين الحلم والعجز أن الحلم يكون إلا عند قدرة، والعجز لا يكون إلا عند ضعف، فليس للعاجز أن يتسمى بإسم الحليم وهو عاجز). [4]

ذو العَقلِ يَشقَى في النّعيمِ بعَقْلِهِ, وأَخُو الجَهَالةَ في الشقاوةِ ينعَمُ

وهذا من كلام الحكيم: (العاقل لا يساكن شهوة الطبع لعلمه بزوالها، والجاهل يظنّ> أنها خالدة وهو باق عليها، فهذا يشقى بعلمه وهذا ينعم بجهله). [5]

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَفِيعُ مِنَ الأذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

وهو منقول من كلام الحكيم: (الصبر على مضض الرياسة ينال به شرف النفاسة). [6]

الظُّلْمُ مِن شِيَمِ النُفُوسِ فإِنْ تَجِدْ ذَا عِفّةٍ فَلَعَلَّهُ لَا يَظْلِمُ

---

[1] . الحكمة في شعر المتنبي، ص 55.

[2] . الحكمة في شعر المتنبي، ص 55.

[3] . ديوان أبي الطيب ،ج4، ص 34.

[4] . ديوان أبي الطيب ،ج4، ص 92.

[5] . الحكمة في شعر المتنبي، ص 56.

[6] . الحكمة في شعر المتنبي، ص 56.

وهو من كلام الحكيم: (الظلم من طبع النفس، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين إمَّا علة دينية أو علة سياسية، كحقوق الإنتقام منها). [1]

لَولَا العُقولُ لَكَانَ أَدْنَى ضيغَمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الإِنْسانِ

وهذا من كلام الحكيم: (الإنسان شبح نور روحاني، ذو عقل غريزي، لا ما تراه العيون من ظاهر الصورة). [2]

أَفَاضِلُ النَاسِ أَغْراضُ لِذَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنْ الهَّمِ أخْلَاهُمْ مِنَ الفِطَنِ

وهذا من أحسن الكلام، وهو من كلام الحكيم إذ قال: (على قدر الهمم تكون الهموم، وذلك أن العاقل يفكر في عواقب الأمور فلا يزال مهموما، وأما الجاهل فلا يفكر في شيء من هذا). [3]

وهذا كلام حسن من كلام الحكيم: (الحس قبل المحسوس، والعقل قبل المعقول). [4]

وَمُرَادُ النُّفُوس أَصغَرُ مِن أَن تَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى

وهو من كلام الحكيم: (ليس الحزم في إفناء النفوس في طلب الشهوات، بل في درك العالم العلوى). [5]

إِذَا الجُودَ لَمْ يَرْزِقْ خَلَاصًا مِنَ الأذَى فَلَا الحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا المالُ بَاقِيَا

وذكر الحاتمي أن هذا البيت من قول الحكيم: (إذا لم تتجرد الأفعال من الذّم كان الإحسان إساءة). [6]

وهذا من أحسن الكلام:

وللنَفسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُ عَلَى الفَتَى أَكَانَ سَخَاءً ما أَتَى أَمْ تَسَاخِيًا

وهذا من كلام الحكيم: (تغير الأفعال التي تأتي غير مطبوعة أشد إنقلابا من الريح الهبوب). [7]

---

[1] . ديوان أبي الطيب ،ج4، ص 121.

[2] . الحكمة في شعر المتنبي، ص 56.

[3] . الحكمة في شعر المتنبي، ص 57.

[4] . ديوان أبي الطيب ،ج4، ص 209.

[5] . ديوان أبي الطيب ،ج4، ص 239.

[6] . الحكمة في شعر المتنبي، ص 57.

[7] . الحكمة في شعر المتنبي، ص 57.

هذه المقابلات بين حكم المتنبي وحكم أرسطو حاول نقاد المتنبي في القديم والحديث أن يلتمسوا منها أرسطو في المتنبي، وذهبوا في استنتاجهم مذاهب شتى بين مؤيد للمتنبي ومعظّم له، ولست هنا بمقام المؤيد أو المعظّم وإنّما أحاول أن أتلمّس الطريق التي من خلالها تسير بآراء أرسطو إلى حكمة المتنبي.[1]

ب. القياس المنطقي في شعر المتنبي:

إنّ دراسة التطور الذي لحق شعر المتنبي أثناء اتصاله بالفارابي في بلاط سيف الدولة، يقودنا إلى التعرف على خصيصة من أهم خصائص شعره في تلك الفترة وهي التفكير المنظم الدقيق، وتوليد المعنى بذكاء وحدة تعبير والتدليل على قضاياه دون إفتعال أو تعمل، وقد أشار أستاذنا الدكتور شوقي ضيف إشارة عابرة إلى هذه الفكرة، فقال "وكان المتنبي يعني في شعره بأقيسة المنطق، وأكثر هذه الأقيسة في ديوانه كثرة مفرطة، وهي تعطي شعره ضربا من الحدة في التعبير والأحكام في التفكير". [2]

وإذا اتبعنا النمو الفني لشعر المتنبي لمعرفة مدى الاهتمام الذي أولاه للقياس المنطقي، وجدنا فترة من أزهى فترات حياته وأتمها نضجًا يبرز فيها اهتمامه الواضح بالفكر المنظم الهادئ، والدليل الواضح الصريح، وهذه الفترة إبان وجوده في رحاب سيف الدولة، واتصاله بالثقافة اليونانية اتصالا غير مباشر عن طريق مجالسته للفارابي واستماعه لمحاضراته في المنطق الأرسطي (الأورجانون) الذي كاد أن يصبح دستور التفكير عند علماء الكلام والفلاسفة الإسلاميين في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

فشاعرنا قبل وبعد اتصاله بسيف الدولة يلتفت كثيرا إلى القياس المنطقي ولا يعني عناية كبيرة بصقل الفكر وتهذيبها بحيث تثير فكرنا، وتشحن ذهننا، فهو في حبين يمدح علي بن منصور الحاجب بقصيدة مطلعها: [3]

يأَبْىَ الشُمُوس الجَانِحَاتُ غَواربَا الَلابِسَاتِ مِنَ الحرِيرَ جَلابيبَا

---

[1] . الحكمة في شعر المتنبي، ص 57.

[2] . د. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص 346.

[3] . ديوان أبي الطيب ،ج4، ص 122.

يعكس نفسه الحزينة الضائعة، وروحه المنفردة الوحيدة التي لخطوب الدهور أرزاته. وهو يعبر عن الحالة الوجدانية تعبيرا بسيطا، ليس فيه حقلٌ للذهن وإن كان فيه الصدق الفني النابع من شعور الشاعر المرهف بعذابه النفسي:

كَيفَ الرَجاءُ مِنَ الخُطوبِ تَخَلُّصا مِن بَعدِ ما أَنشَبنَ فِيَّ مَخالِبا

أَوجَدني وَأَوجَد حُزناً واحِداً مُتَناهِياً فَجَعَلنَهُ لي صاحِبا

وَنَصَبنَي غَرَضَ الرُماةِ تُصيبُني مِحَنٌ أَحَدُّ مِنَ السُيوفِ مَضارِبا

أَظمَتنِيَ الدُنيا فَلَمّا جِئتُها مُستَسقِياً مَطَرَت عَلَيَّمَصائِبا[1]

فالألفاظ الشعرية تستوقف فكرنا حقا، لترى كيف أن الخطوب «أنشبن المخالب» فيه وكيف أصبح "غرض الرماة" لتصيبه محن «أحد من السيوف» ونعطف على هذا الظامئ الذي لجأ إلى الدنيا ليرتوي بمائها فما كان منها إلا أن أمطرته بالمصائب.

ويبدو أن الشاعر الحكيم في بعض قصائده ذكيا غاية الذكاء، وذلك حين يستخدم القياس المنطقي ببراعة تمكنه من منح قضاياه الخاصة بقضايا المخاطب فلا تستطيع إلا أن تتعجب غاية الإعجاب، ولا تملك إلا أن تنصت لدعواه إنصات المتأدب المتذوق الفاهم لمعنى الكلمات الحكيمة التي يختلط فيها الشعر بالفلسفة. وهذا المعنى يتضح في مدحه لسيف الدولة وذكره لهجوم الشتاء الذي عاقه عن غزو خرشنة [2]:

عَوَاذل ذات الحال في حواسدٌ وأنَّ ضَجيعَ اللحود مني لما جدٌ

فهو يريد أن يعبر عن طموح نفسه، وعلو تطلعاته، وفي نفس الوقت ينبغي أن يغمز الأمير بأنه لم نيله بغيته برغم أنه رحل إليه وهاجره أهله وموطنه.

يقول الأستاذ أحمد أمين «يخطئ من يظن أن أبا الطيب عمد إلى ما أثر من الحكم عن أفلاطون وأرسطو وأبيقور وأمثالهم من فلاسفة اليونان فأخذها ونظمها، ولم يكن له في ذلك إلا أن حول النشر شعرا، كما روى ذلك من تتبعوا سرقات المتنبي وأفرطو في اتهامه فأخذوا يبحثون في كل حكمه نطق

[1]. الديوان 205 .

[2]. المرجع نفسه ص 267 .

لها، ويرودها إلى قائله من هؤلاء الفلاسفة»[1] ولكننا نستطيع موافقة الأستاذ أحمد أمين على قطع كل الصلة، للمتنبي بالفلسفة اليونانية، وإرجاع المصدر الذي اغترف منه المتنبي إلى الشعر العربي وبخاصة إلى أبي العتاهية وزهير بن أبي سلمى. ثم إلى تجاربه الخاصة في الحياة، ومخالطته للناس والأحداث، وصراعه الطويل مع صروف الزمان، حقا هذه مصادر للثقافة لها أهميتها القصوى ولكنها لا يجب إطلاعه على ثقافة اليونان بنصيب قد يكون موفورا ولذلك فإن الأستاذ أحمد امين يقول:

«فنحن إذا إلتمسنا له مثلا في حكمه فلسنا نجده في أفلاطون وأرسطو وأبيقور، وإنما نجده في زهير بن أبي سلمى وقد نطق في الجاهلية بالحكم الرائعة مما دلته عليه تجاربه، وأوحى إليها إلهامه، كما نجده في شعر أبي العتاهية وقد ملأ عالمه حكما وأمثالا خالدة على الدهر»[2].

وينزع عن المتنبي ميزة من أهم المميزات في عبقريته وهي قدرته على تمثل فلسفة اليونان وصهرها في ثقافته العربية الأصيلة، ثم الانتفاع بها تعميق المعاينة، وترتيب أفكاره وتأجيل فلسفته وحكمه المستقاة من تجارب الحياة اليومية، ومن إطلاعه على تراث الحكمة الضخم في الشعر العربي وإلباس أفكاره هذا اللباس المنطقي الذي رأيناه في قصائده التي نطق بها في ظل سيف الدولة على ذلك فإنّ أبا الطيب لم يثقف ثقافة فلسفية، وإنما ثقف ثقافة عربية خالصة قرأ بعض دواوين الشعراء، ولقي كثيرا من علماء الأدب واللغة كالزجاج وابن السراج والأخفش وابن درين، وكل هؤلاء لهم شأن بالفلسفة ومناحيها وما لنا ولهذا كله، فإننا لو رجعنا إلى حكمه لوجدناها منطبقة تمام الانطباق على محيطه ونفسه وليس فيها أثر من التقليد ولا شيء من التصنع، فهو ينظم ما يجول في خاطره، وما دلته عليه تجاربه». [3]

المصادر الأصلية:

وإني أرى المصدر الأول إنما يتمثل في كون المتنبي يتمتع بموهبة فطرية حيث برع في نظم الشعر منذ نعومة أظفاره كما كان ذا ذكاء مفرط وحافظة قوية وبديهة حاضرة وفكر منظم ، هذه الخصائص مجتمعة " أهلته للمعرفة – عامة– ولفهم الحياة وفلسفتها –خاصة– "[4].

---

[1]. د.أحمد أمين . فلسفة القوة في شعر المتنبي ص 12 .

[2]. المرجع نفسه ص 93 .

[3]المرجع نفسه نفس ص .

[4]. أبو العلا مصطفى: شعر المتنبي، ص 226.

والموهبة باعتبارها استعداداً فطريا تجعل صاحبها يتوفّر على قدرات عقلية استثنائية في حاجة إلى تنمية وتطوير.

وقد وجدت موهبة المتنبي أسباب تنميتها وتطويرها –أولا– في الوسط الذي تلقى فيه تعليمه الأول بمسقط رأسه الكوفة، يقول البغدادي: " اختلف المتنبي إلى كتاب في أشراف العلويين، فكان يتعلم دروس العلوية شعرا ولغة وإعرابا، لقد عرف تعليم الصبيان في الكُتّاب منذ فترة مبكرة، وانتشرت الكتاتيب منذ القرن الثاني الهجري في المدن والقرى، حتى أصبح لكل قرية كتّاب أو أكثر، وكانت الكتاتيب ملحقة بالمساجد أو مستقلة عنها"[1].

وثانيا بإنكبابه على دراسة العلوم يتلقفها أنى وجدها، حيث كان يجمع المؤلفات ويقضي الليالي ساهرا يتصفح أوراقها ويرتشف رضابها ويعقب عليها.

وأما عن ذكائه وقوة استحضاره فلا نجد أفضل مما قال عنه حجر العسقلاني" ومما يذكر في سرعة جواب المتنبي وقوة استحضاره أنه حضر مجلس الوزير ابنحنزابة(جعفر بن الفرات) وفيه أبو علي الآمدي الأديب المشهور فأنشده المتنبي أبياتا جاء فيها التهنئات.

فقال له أبو علي: التهنئة مصدر والمصدر لا يجمع.

فقال المتنبي بجانبه: أمسلم هو؟

فقال: سبحان الله ! هذا أستاذ الجماعة.

فقال المتنبي: إذا صلى المسلم وتشهد أليس يقول: التحيات؟

قال فخجل أبو علي وقام" [2]

والمصدر الثاني، إنما يتمثل في ارتحال في مستهل شبابه إلى البادية حيث صاحب الأعراب وأخذ عن شيوخهم كثيرا من شوارد اللغة. ورجع إلى الكوفة شاعرا حاذقا عالما بأسرارها، فتنقل من بادية العراق

[1]. البغدادي عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج1، دار الشروق، بيروت، لبنان،(د ط)، ص "382.

[2]. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: لسان الميزان، ج1، مؤسسة الأعلى للمطبوعات والنشر، ط1، بيروت، ص159–160.

إلى بادية الشام، ومن البدو إلى الحضر، ومن المدر إلى الوبر مترددا بين القبائل ومخايل العبقرية مبشر بخير منه كثير. وكان الفضل في ذلك لأبيه الذي لازمه في هذه الأسفار الأولى. [1]

وقد لازم الوراقين متخذا كراريس يدون فيها شعره وخواطره فيما يروقه من شعر النوابغ أمثال: أبي تمام، البحتري وبشار وأبي نواس. وكانت هذه الكراريس عدته وزاده في تجواله ورحيله، ولقد بقي أثر البادية عميقا في حياته مطبوعا في ذهنه،وخياله فكان شعره لا يخلو من هذا الأثر حتى بعد انتقاله إلى الحضر، فكانت لغة البادية عالقة بمعانيه وقوافيه، يترنم بالوفاء والفداء ويولع بالبطولة، ويتغنى بالرماح والسيوف وحمحمات الخيل[2].

والمصدر الثالث لحكمة المتنبي إنما هو دون منازع تجاربه،والإنسان عموما يستقي تجاربه من حيث هو كائن حي يرغب ويحس ويدرك وينفعل ويعبر ويريد ويفعل وهو في كل ذلك يتأثر بالأحداث التي يعيشها فيصوغ منها مادة تفكيره ويستخرج منها عبرا ومواعظ تقيه الانحراف عن جادة الطريق وشاعرنا لا يشذ عن هذا المبدأ في رصد تجاربه، وقد كانت تجاربه متعددة –حقا– ثرية، غنية بقدر ثراء الأحداث والظروف التي عاشها إنها الأحداث والظروف التي عاشها. إنها أحداث يمتزج فيها النجاح بالإخفاق والمسرات بالأحزان والتألق بالفشل وحسن الظن بسوئه والسؤدد بالذل، والعظائم بالصغائر. وقد صاغ المتنبي كل هذه التجارب وصبها في مجرى غرض الحكمة "فإن لكل حكمة في شعره أصلا تاريخيا في قلب هذا الشاعر الذي لم يكن قلبه ينسى شيئا أو يفلته وكأني به وهو يقول البيت السائر والمثل الشرود، كانت تتراءى تحت عينه ويدوّي في مسمعه كل ما مر به مما أثر فيه، فيقول البيت وفي كل لفظة منه سبب ممدود إلى ذكرها أو فكرة يتخيلها"[3].

وإننا نرى أنه ما من شاعر تمر به من الظروف والأحداث ما مرت بالمتنبي لجدير بأن يظهر في غرض الحكمة قبل غيره من الأغراض ولاسيما إذا أضفنا إلى هذه الأحداث والظروف عامل اليتم حيث أن اليتم وحده مخبر النفس الإنسانية، بهي غوص اليتيم في أعماق السرائر فيُسرُّ ما تُسرُّ الأضالع. إن

[1]. أنظر الثعالبي: يتيمة الدهر، ج1، ص 79.

[2]. أنظر البديعي: الصبح المنبي، ص 20.

[3]. شاكر محمود: المتنبي، ص 67.

اليتيم قد وجه سلوكه وعلمه قبل الأوان إلى أشياء ما كان ليعرفه لولاه. وفي مقدمة ما تعلمه من اليتم مغالبة الصعاب وتحمل المشقة. أليس هو القائل:

لا يدرك المجدَ إلا سيد فطنٌ لمِا يَشق عَلى السَادَاتِ فعّالُ

لَوْلاَ المشَقَةُ سَادَ النَّاسُ كُلُهم الجُود يفقرُ والإقدام قتَّالُ[1]

أما عن المصدر الرابع، فيمكن ذكر الحياة الفكرية التي سادت القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه المتنبي. وقد شاع في هذا العصر اقتناء الكتب، وكثرت المكتبات حيث صار الملوك والأمراء بعد الخليفة يفاخرون باقتناء المصنفات، ويتسابقون إلى شراء نوادرها، فكان للخليفة العزيز المتوفى عام 386هـ خزانة كتب حافلة، وحين ذكر بحضرته أن للخليل بن أحمد كتابا نادرا في اللغة وهو كتاب "العين" نادى خزنة مكتبه وأمرهم بإحضار ما عندهم من هذا الكتاب النادر، فأحضروه من فورهم ما زاد على ثلاثين نسخة منه.

و كان لعضد الدولة بفارس خزانة كتب مشهورة عليها أمناء ومتعهدون، ولم يبق في عهده كتاب أو مصنف إلا حصل على نسخة منه. [2]

وكانت حلب أيام سيف الدولة دار علم وأدب وملتقى المفكرين والشعراء وقد كثرت فيها المكتبات، وكان قصره في ظاهر حلب في مكان يسمى "الحَلَبَة" مزهوا بنوادر المصنفات. وكان يجازي العلماء بجوائز مالية ليتفرغوا للعلم والتأليف. فكافأ الفيلسوف أبا نصر الفارابي المتوفى سنة 339هـ. أربع دراهم كل يوم، وكان الفارابي أشهر من ظهر من الفلاسفة في عصره فضلا عن معرفته فن الموسيقى العربية، كما ظهر"إخوان الصفا" برسائلهم الفلسفية النقدية التي أداروا بحوثها وحوارها في الطبيعة وما وراءها. وكان لها أثر بعيد في تبصير العقول بل نكاد نعدها من أسباب الثورة الفكرية وكانت موردا عقليا لكثير من المفكرين[3].

---

[1]. البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج3، ص 406.

[2]. أنظر فروخ عمر: الأعصر العباسية، ج2، دار العلم للملايين، ط2،بيروت، 1975م، ص 400.

[3]. أنظر صليبا جميل: من أفلاطون إلى ابن سينا (محاضرات في الفلسفة العربية) دار الأندلس، بيروت، (د ط) ص 44-45.

كما ظهر في هذا العصر أبو الريحان البيروني، وأبو علي بن سينا وقد مهد الفيلسوف الكندي الذي جاء في العصر السابق كثيرا من مناهج الفلسفة لمن جاء بعده[1].

وإذا كان المتنبي قد عاصر هذه الحركة الفكرية المزدهرة، فإن كذلك واكب حركة لغوية ألف فيها الأدب من كل صنف فقد راجت سوق هذا الأدب وتقرب به أهله إلى الملوك والأمراء. وكانوا بين متكسبين للمعيشة وبين محبين موهوبين ولا عجب فقد كان الأدب للأمة العربية في صدر الإسلام حتى أواخر العهدين العباسي والأندلسي ديوان حكمتها وفنونها ومظهر تفكير ها وشعورها.

ولم يكن الأدب منفردا وحده –كما هو الحال في مصطلح زماننا– وإنما كان أهله مازحين بينه وبين اللغة وأقيسة المنطق والبلاغة.

فأصحاب اللغة استطاعوا في هذا العصر أن يكونوا للأمة العربية معجما واسعا؛ فكان إسماعيل بن حماد الجوهري صاحب "الصحاح" منحة هذا الزمان في اللغة صنف معجمية على حروف الهجاء وانتقى في شرح كلماته أحسن الألفاظ وأصحها فاستراح الناس على يديه من كتب اللغة التي شاع فيها الاضطراب والتشويش ولم تعرف التنظيم العلمي، وخير ما ينفع الناس ما استطاعوا أن يتداولوه في ثقافتهم وعملهم، وقد جاء معجم الجوهري صحيح النسب إلى صانعه ولم يكن مبتورا مثل كتاب " العين" الذي صنفه الخليل ولم يتمه وقيل أتمه أو إن تلميذه أكمله بعده.

وقد ساعد التطور الذي كانت تمر به اللغة في هذا العصر والحضارة التي مارسها العرب في تنمية لغتهم واتساع أفقها وانبساط سلطانها؛ إذ كان التعبير هو الوسيلة العملية للاستفادة من اللغة وإخراجها من معجماتها ونصوصها إلى سوق التداول في الأخذ والعطاء.

ورفد اللغة علم النحو والصرف، وكثر العلماء الباحثون فيهما، وكان النحو يخضع إلى فريقين لكل فريق نزعة منهجية كوفية أو بصرية. ومن الذين تضلعوا في النحو والصرف واللغة في هذا العصر أبو علي الفارسي وأحمد بن فارس المتوفى سنة 395هـ وأبو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الربعي، وكان هذا الأخير تلميذا لأبي علي الفارسي لازمه بشيراز، وأخذ عنه اللغة والنحو. [2]

---

[1]. المرجع نفسه: ص 126-127.

[2]. أنظر القفطي جمال الدين أبو الحسن: إنباء الرواة على ؟أنباء النحاة، ج2، دار الآثار للطباعة والنشر، (د ط) بيروت، ص 297.

أما أبو علي الفارسي فكان ذا رأي حر في النحو وثقة في اللغة، وله أقوال كانت الفاصل في مخالفات كثيرة، وكان يؤثر القياس ويعني بقيمته الأصالة للكلمة العربية وفتح باب التعريب للكلمات الأعجمية.

وجاء بعده ابن جني وهو من أصحاب أبي الطيب وخلصائه وكان الشاعر يثني عليه. وكان ابن جني من أكبر المعجبين بشعر أبي الطيب، وقد حفل كتابه"الخصائص" بأصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه والمقاييس والمطارحات اللغوية والنحوية بينه وبين أستاذه أبي علي الفارسي وغيره من تلاميذه وإخوانه. [1]

وضمن الحياة الفكرية يمكن إدراج أيضا الحركة الأدبية، التي كانت رافدا من روافد التأثير في شخصية المتنبي كشاعر عموما وكشاعر حكمة خصوصا. ولاسيما أنه عاصر معظم الأدباء والشعراء والنوابغ الذين عاشوا في القرن الرابع الهجري، فها هو ذا أبو الفرج الأصبهاني يصنف لسيف الدولة كتابه "الأغاني" وهذا المؤلف يظهر بنثره وشعره عالما حضاريا لا يفنى في أدب العرب حيث إنه مرجع -بحق- لحياة مئات من الشعراء المطبوعين الذين تركوا في الدنيا ذوب أرواحهم المرهفة، وغرائب سيرهم في الحب والحرب والعبادة[2].

وظهر في هذا العصر من أهل الأدب الباحث الكاتب أبو الفضل بن العميد(373هـ) وقد كان واعي الفكر، حصيف الرأي ومن عدول من كتبوا في كلام العرب على الرغم من كونه فارسيا، وقد بالغ وهو وزير بالحفاوة بأبي الطيب الذي مدحه بغرر الأماديح وسار إليه ونزل ضيفا عنده. [3]
كما ظهر الصاحب بن عباد (360هـ) برسائل على هذا الغرار. وقد حظي ابن العميد بمدح أبي الطيب كما حضي الشاعر بعطاياه، أما الصاحب فقد تأبى عليه أبو الطيب ورفض أن يمدحه، فلقي المتاعب من جراء ذلك، إذ ألف الصاحب كتابا في مثالبه لكنه لم يكن له أثر يذكر، وبقي في سجل

---

[1]. أنظر رضوان، محمد مصطفى : العلامة اللغوي ابن فارس الرازي ، دار المعارف، القاهرة، 1971م، ص230.

[2]. أنظر الشكعة مصطفى : فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، مكتبة الأنجلو المصرية ،(د ط)، القاهرة، ص1.

[3]. أنظر ضيف شوقي : الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط7، القاهرة، ص 208.

التاريخ الزمني للأدب العربي أن أبا الطيب المتنبي أعرض عن مدحه، وقد سُئل عن ذلك فقال: "أنا لا أمدح سوى الملوك. . . "[1]

أما الشعر في هذا العصر فقد انبعث في قريحة المتنبي عبقرية فياضة ومواهب متجاوبة، وكان أبو الطيب أكثر الشعراء طموحًا، بل كان هذا التألق والتجدد ثمرة تطور فني وتمازج فكري، هذا التمازج الفكري الذي بدأ في الثلث الأول للقرن الثاني الهجري؛ وذلك بقيام الدولة العباسية، فمنذ بشار بن برد حدثت في شعر العرب هزّة جديدة وطفر الشعر طفرة رائعة وجاء أستاذ الشعراء حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام ففتح بابا جديدا لصناعة الشعر العربي، ومضي تلميذه البحتري على غراره في صنع الشعر وقوله، وإن أدخل عليه من ذوقه وفنه الشيء الكثير سواء في الوصف والتصوير أم في دقة المعنى والتعبير، كما أخذت تلوح بوادر الابتكار في المعاني الطريفة، وكان أبو نواس وصحبه من شعراء الخمر والمجانة بدعا في هذا الشعر، فبعثوا فيه روح التجدد والتفنن، وكل ذلك مع الحفاظ على ديباجة القول المحكم الرصين وإبراز القصائد والمقطوعات في طراز رفيق يربط حاضر هذا الشعر بماضيه، لكن الروح الفنية الجديدة دخلت هذا الشعر وآذنت الحضارة بتمازج الثقافات كما آذن الزمن أن يرث القرن الرابع كل هذه الصفات والمزايا في الشعر العربي ليستقبل أبو الطيب هذه المواريث سائغة فيتداول أروعها وأبقاها ويختص شعره بأقوى ما فيها ولاسيما ما يتعلق بالحكمة التي برز فيها وتميز بها عن غيره من الشعراء. [2]

وعلى العموم، فإذا قلنا بأن الحكمة عصارة تجارب المرء، فهذا لا يعني أبدا أن كل إنسان اغتنت تجاربه فاتسعت آفاق خبراته حتى استوعب الحياة بجميع مظاهرها قد أصبح حكيما ينتج الحكمة المؤثرة بلا عناء.

"كل إنسان توافرت له هذه الإمكانيات الخاصة، إمكانات الإنسان في القطاع العقلاني، إنما هو حكيم بالقوة ومؤهل لأن يصبح حكيما بالفعل، متى تم له أن يجيد أصول الوسائل التعبيرية

[1]. أنظر المرجع نفسه، ص 212 وما بعدها.

[2]. أنظر ضيف شوقي: العصر العباسي الأول، ص 92-93.

الفنية[1]من لفظ منمق جميل يحرك الفكر ويثير المشاعر وعبارات مزخرفة وقبل أن تتوافر هذه الوسائل لا يكون الحكيم حكيما بالفعل ويبقى بالإمكان، ولكنه لا يصبح حكيما عاملا منفذا إلا حين يستطيع التعبير الكامل عن محتوى تجاربه بفاعلية وإبداعية عميقة وبناء حكمه بثوب فكري وفني يرضى العقل والشعور معا، وهذا ما حصل مع شاعرنا المتنبي.

وإن هذه المصادر الأصلية التي جعلته شاعرا حكيما بالفعل ساندًا مصادر أجنبية.

إذن فما هي هذه المصادر الأجنبية؟ وإلى أي مدى أسهمت هذه المصادر في إثراء حكم المتنبي وإغنائها؟.

[1]. عاصي ميشال: الفن والأدب، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1970، ص35.

الفصل الثالث

الأداة الفنية والفكرية في شعر الحكمة

عند المتنبي

أولا: الأداة الفنية

ثانيا: الاداة الفكرية

في معرض البحث عن الخصائص الفنية والفكرية لشعر الحكمة عند المتنبي، تناول أبرز مميزات هذه الحكم ومالها من خصوصيات فنية وفكرية عند الشاعر.

أ. **الخصائص الفنية**: كان للمتنبي نبضا خاصا في عصره، كان نبضا من التعالي والتعلق بالغايات القصوى والتسامي إلى السيطرة على محيطه وتغييره، وشاعر مثل هذا لابد أن يكون لنسيجه الشعري نفرده وخصوصياته، وهكذا كان النسيج الشعري أو عناصر الأداء الفني عند المتنبي تمثل عالما منفردا ومتكاملا وهو عالم ذو طبيعة خاصة على مستوى طموحه وجموحه وغضبه وتمرده وتوحده وتعاليه وتيهه[1]إن لغة الشعر عند المتنبي لغة خاصة قريبة لها أسرارها الخاصة وعالمها السحري، ونبضها الإيقاعي المنفرد وقد لاحظ هذا من قبل أبي العلاء المعري فيها يرويه عليه الواحدي في شرح لديوان المتنبي فيما يأتي " وقد قرأت على أبي العلاء المعري ومنزلته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب. فقلت له يوما: ما ضر أبا الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها، فأبان لي عوار هذه الكلمة التي ظننتها ثم قال لا تظن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره. بما هو خير منها. فجرب إن كنت مرتابا وها أنا ذا أجرب ذلك منذ العهد فلم أعثر بكلمة لما أبدلتها أخرى كانت أليق بمكانها وليجرب من لم يصدق يجد الأمر على ما أقول، [2]لقد أدرك أبو العلاء المعري مع ما قال عنه من تحيز للمتنبي أن الشاعر الجيد شأن المتنبي في كلماته لا يقدم كلمات عادية أو مصطلحات، يمكن استبدالهما وإنها هو يحاول أن ينغم حالته النفسية، إنه بمفهوم الفن الحديث يحاول أن يبحث في اللغة عن الأصوات بكلمات وتتجمع الكلمات بدواعث أو دوافع ينتج عنها في نهاية الأمر معنى أو مضمون، [3]وإن اهتمامنا بدراسة الخصائص الفنية للمتنبي، إنما هي محاولة لدراسة خصائص الصيغ والتراكيب في حكمه وكيف استطاع الشاعر أن يوظف اللغة ويشكلها وأن يطوع العناصر الصوتية في الكلمة الشعرية، وإلى أي حدّ وفق المتنبي في صوره الشعرية، وإلى أي حد امتزجت هذه الصور بالسياق العام للحكمة.

(1). العشماوي ، محمد زكي ، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي حي 250 بيروت . دار النهضة 1981.

(2). الواحدي – شرح ديوان المتنبي ص 112 .

(3). مكاوي عبد الغفار – ثورة الشعر الحديث ج1 ص 89 – القاهرة الهيئة المصرية العامة للكاتب 1972 .

1. اللغة:

إن المتمعن في قراءة شعر المتنبي عامة وفي حكمه خاصة، يدرك أن الشاعر تمكن من إخراج لغة مكنته من البوح باختلاجات ذاته ومغامراته مع الواقع ومع الحياة، ماكان لهذه اللغة أن إمتزج فيها العقل بالشعور. وهذا الكلام يقودنا حتما إلى إثارة الحديث عن الخيال والصورة الشعرية واللغة والموسيقى، اللازمة لإثارة العواطف وإشعالها وهو الذي يملك به الشاعر والأديب نفس القارئ والسامع، يجعلها تتعجب وتطرب من مشاهد الصور في القصيدة.

كان المتنبي واسع الإطلاع بكتب اللغة والنحو ودواوين الشعراء واسع العلم بأسرار اللغة وغريبها ولهجاتها ومذاهب النحاة وشواهدهم فقد كان مبررا في مجال اللغة، مكثرا في نقلها، مطلقا على غريبها وحوشيها وأكثر استشهاده بكلام العرب نظما ونثرا في أعليه ابن العميد كتابه الذي جمعه في اللغة وكان يعجب من حفظه وغريب علمه. كما قرأ عليه أهل مصر كتاب المقصور والممدود لأبي العباس ابن ولاد فصححه وأخذ على مؤلفه بعض الغلطات. قيل إن كتبه بعد موته كانت تحمل ملاحظات نفسية دونها بيده[1]، وقد امتازت لغة المتنبي بقوتها فلاءمت بها قوة نفسه ومعانيه وأغراضه. وتبدو وهذه القوة في ألفاظه الصلبة، وتراكيبه المتينة، وتشابيهه، واستعارته[2]، وقد وصف بأنه نادرة زمانه وأعجوبة عصره.

ونتيجة للدور الكبير والإلهام الذي تلعبه اللغة في الحكم على العمل الإبداعي كان من واجبنا أن تقف عند هذا الجانب من شعر المتنبي لتكتشف ونستقصي الخصائص التي تميزت بها لغة شاعرنا التي تشكل المصدر أو الينبوع المتدفق في بناء القصيدة أن يقول: [3]

وَمَا أَنَا إِلاَ سَمهَرِيٌّ حَمَلتُهُ ... فزيَّن مَعْرُوضًا وراعَ مَسْدُدَا
أَجِزْنِي إِنْأَنْشَدتُ شِعْرًا فإِنَّما ... بِشِعرِي أَتَاكَ المادِحُونَ مُرَدَّدَا
وَدَعْ كُلَّ صَوتٍ غَيرَ صَوتِي فَإِنِّني ... أَنَا الصَائِحُ المحْكِيُّ والآخَرُ الصَّدَى
تَرَكتُ السُرَى خَلْفِيَ لِمَنْ قَلَّ مَالَهُ ... وأَنْعَلْتُ بِنَعْلِكَ عَسْجَدَا

(1) . الموسوعة العربية العالمية ، المتنبي.

(2). بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ص 361.

(3). ناصف اليازجي : العرف الطيب ص 184 – 185 .

فالمتأمل لهذا النص الشعري بلغته التي تحمل جملة من الوظائف والدلالات في بنيتها الفردية (الكلمة) وبنيتها الكلية (التراكيب) فاللغة بهذا البناء الفني عند المتنبي كانت مادة لدلالة ظاهرة وباطنة تتجاوز القرائن البعيدة لتقف عند سطوة المدرك الملموس. فقد أوجد عالما كاملا من الكلمات في مستوى طموحه (سمهري – مسددا – عسجدا. . .) كلمات كلها قوة ويمكن أن ترجعها إلى نفسيته المتأججة بنار الثورة المتطلعة إلى المعالي وهذا ما مكن هذه النفس التأثر بإنتاج فخامة على هذا الشعر.

لعل سر اقتران الحكمة الشعرية بالمتنبي أكثر من غيره من الشعراء هو قدرته اللغوية الفائقة، والخيرة بمتطلبات الصياغة التي جعلت أبياته تتردد على الألسنة، فتكسب سيرورتها واستمرارها، وهي لغة صقيلة حاسمة واضحة، تقنع المتلقي وتدهشه معًا يقول المتنبي:

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوضِعِ السَّيفِ بالعُلا مُضِرٌّ كَمَوضِعِ السَّيف في مَوضِعِ النَّدَى. [1]

فهذا البيتيخبر عن معنى دقيق، خلاصته أن الأفعال لا تمنح ولا تدوم مجردة عن ظروفها وملابساتها، فالشدة مواطنها التي لا ينفع فيها الرفق واللين والعكس صحيح. فهو في هذا البيت قد سكب هذه الحكمة المستمرة الثابتة في قالب الجملة الإسمية الدالة على الثبوت والرسوخ والدوام واللافت أنه لم يستخدم في هذا البيت فعلا قط. وهذا الاختيار أي الاقتصار على الأسماء في أبيات الحكمة هو اختيار واع من الشاعر للغته، ويكاد يكون ملمحا أسلوبيًا في شعر الحكمة إذ له نظائر كثيرة، منها قوله:

الرَّأيُ قَبل شجاعة الشُجْعَانِ هُو أوَّلٌ، وهِيَ في المَحَلِّ الثَانِي[2]

وقوله أيضا:

فَطَعْمُ الموتِ في أَمرٍ حَقِيرٍ كَطَعْمِ الموتِ في أَمرٍ عَظِيمِ[3]

في حين يرى الدكتور صالح بن عبد الله بن عبد العزيز الخضري. أن المتنبي ينأى عن الألفاظ المستعملة في الوسط الأدبي ويختار الألفاظ الغريبة أو النادرة أو الشاذة ويقحمها في نصه الشعري عن قصد

(1). ورج عبدو معتوق . المتنبي ص 125 .

(2). ليازجي العرف الطيب . ص 251.

(3). ليل شرف الدين ، المتنبي ص 147 .

وتنشر هذه الألفاظ في شعره بشكل يختلف إلى حد كبير عن الأدباء المعاصرين له، فقد قال في مطلع قصيدته التي مدح بها عبد الواحد بن العباسبن أبي الأصبع الكاتب. [1]

أرَا كاتبَ الأحْبَابِ إنَّ الأَدْمُعَا تَطِسُ الخُدُودَ كمَا تَطِسُّ اليَرْمُعَا

لقد اختار كلمة "تطمس" من بين عدة بدائل متاحة، وكان بإمكانه أن يختار كلمة "تدفق" لكنه اختار كلمة "تطمس" لأنها هي التي تعبر عما في نفسه، وكذلك اختار كلمة "اليرمع" وكان بإمكانه استخدام كلمة "الحجارة" وربما يكون للقافية دور في اختيار كلمة المرجع.

فقد أصبح اختيار الألفاظ الغريبة وتفضيلها على غيرها من البدائل المتاحة هي إحدى السمات الأسلوبية لشعر أبي الطيب المتنبي فهي بمثابة البصمة الأسلوبية Stylistic Finger التي امتاز بها المتنبي عمن عداه من الشعراء.

وهذا يدل على طبيعة الشاعر ونفسيته، فهو لا ينظر إلى الممدوح فقط لأن صورة المتلقي تتراءى أمامه ولا تغيب عنه، فالمتلقي هو الغائب الحاضر.

الموسيقى:

ينوه الدكتور محمد حسين الطريعي في كتابه (البنية الموسيقية في شعر المتنبي) إلى أنه على الرغم من مضي أكثر من ألف عام على ولادة المتنبي، فإنه لم يزل يولد مع كل جيل، ولم يزل شاعر الحضارة العربية وقد تناولت دراسته تشكيلات الحروف وأنماطها النغمية، وموسيقى التشديد وتشكيلات التكرار والأوزان والقوافي، والتوافق الموسيقي في بناء القصيدة. يقوم الكاتب بإيراد الشواهد الشعرية التي يطبق عليها دراسته للبنية الموسيقية، ويجد أن المتنبي متيقظ لجرس الحروف وأثرها في اغناء موسيقي القصيدة ويرى بأن "المتنبي عند نظمه القصيدة يستحضر جو المجلس الذي سينشد فيه القصيدة ويتحسس صداها في نفوس مستمعيه "[2]ويظهر الطريحي اهتمام المتنبي بتشكيل علاقات صوتية وصورية في القصيدة، تمنحها دفقا موسيقيا.

(1)www.google.com. الانحراف الأسلوبي في شعر أبي الطيب المتنبي . صالح بن عبد الغربي الخاضيري .

(2)www.google.com. ثراء القصيدة عند محمد حسين الطريحي ، عقبة زيدان .

وقد سيطر حب اللغة العربية على حياة المتنبي واستحوذ على فكره، حتى إنه أخذ يصور شكل الحروف بشكل محسوس، وحاول تصوير أصوات الحروف وأشكالها، لشدة ما تمتلك عليه إحساسه وكيانه.

وإن المهتم بشعر المتنبي يجلب انتباهه وفرة عنصر الموسيقى الذي أولاه الشاعر عناية كبيرة والتزم به. والموسيقى في الشعر تتفرع إلى نوعين يسيران في خط واحد الأول: هو الموسيقى الخارجية (الظاهرة) التي تمثلها النغمة التي تحمل لغته في انتظام ملائم مع حالة الكلمة في التركيب الشعري وهذه النغمة المتواترة هي ما اصطلح منذ القدم على تسميته بالوزن وهو الذي يمد هذه اللغة عن غيرها بالكثير من الخصوصية التي يتميز بها الشعر عن غيره من الأنواع الأدبية.

أما النوع الثاني من الموسيقى في اللغة الشعرية فهو التناغم الذي يتم في السياق بين الكلمات والحروف، فتأتي التجربة في نسق منتظم وهو ما يسمى بالموسيقى الداخلية. ومن التظافر الذي يتم بين النوعين من الموسيقى يتشكل إيقاع القصيدة الذي يعمل التجربة الشعرية، وينظم هذا الإيقاع حركة اللغة في الشعر[1]ويرى البياتي أن الشعر لا يمكن أن يخلو من الموسيقى، لكنه لا يحدد هذه الموسيقى بالوزن أو الإيقاع فهو يستعمل مصطلح الوزن حينا ومصطلح الإيقاع حينا آخر[2]، ولكنه لا يفهم الإيقاع خارج الوزن، ويرى الوزن جزءا من كتابة القصيدة ولا وجود لأوزان تجريدية أو مثالية. وهو لا يتعصب للوزن قديما كان أم حديثا، وإنما يعده ضروريا للشعر.

أما خليل حاوي فهو يستعمل مصطلح الإيقاع حينا ومصطلح الوزن حينا آخر، وهو يربط بينها حينا ثالثا في تحديد الشعر، [3]وهو إذا استعمل الإيقاع أظاف إليه مصطلح الموزون حتى يفرق بين إيقاع الشعر وغيره. فإيقاع النثر منفلت أما إيقاع الشعر فمنضبط.

ولدراسة عناصر الموسيقى في شعر المتنبي يستحسن بنا أن نفصلها إلى قسمين: موسيقى خارجية، موسيقى داخلية.

(1). مد عبد الحميد : في إيقاع شعرنا العربي وبيئته ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، مصر ط1 ، 2005 ، ص 31 .

(2). www.google.com مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر ، د/فاتح علاق

.(3)المرجع نفسه .

والموسيقى في شعر المتنبي عنصر جوهري في قصيدته الشعرية على وجه العموم، يتخذها سبيلا لتأكيد مضامينها، مع إقرار الاتساق والانسجام والتوافق بين المعنى واللفظ والموسيقى الداخلية والخارجية ولعل هذه الخصائص في شعر المتنبي هي التي جعلت شعره متميزا بخصائص لا نحبها في شعر غيره وفي تقديرنا فإن هذه الخصائص تستمد قوتها من الحكم التي يفتتح بها قصائده أو تتخلل أشعاره ولنستمع إليه في قصيدته التي يصنف فيها معركة الحدث:

عَلى قَدْرِ أهْلِ العَزْم تأتي العَزائِمُ وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المكارمُ(1)
وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها وَتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِمُ
يُكَلّفُ سيفُ الدّوْلَةِ الجيشَ هَمّهُ وَقد عَجِزْتْ عنهُ الجيوشُ الخضارمُ
وَيَطلُبُ عندَ النّاسِ ما عندَ نفسِه وَذلكَ ما لا تَدّعيهِ الضّرَاغِمُ
يُفَدّي أتَمُّ الطّيرِ عُمْراً سِلاحَهُ نُسُورُ الفَلا أحداثُها وَالقَشاعِمُ
وَما ضَرّها خَلْقٌ بغَيرِ مَخالِبٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أسيافُهُ وَالقَوائِمُ
هَلِ الحَدَثُ الحَمراءُ تَعرِفُ لوْنَها وَتَعْلَمُ أيَّ السّاقِيَيْنِ الغَمَائِمُ

والقارئ لهذه الأبيات يشعر –لا محالة– بجمال الموسيقى الداخلية وانسجامها مع الموسيقى الظاهرة، ومعانقة القصيدة لألفاظها ومعانيها.

والحق أن الموسيقى بنوعيها الداخلية منها والخارجية هي روح الشعر، وأن أي خلل في الوزن أو القافية يصدم الأسماع وينفر الأذن من السماع والنفس من التلقي، حتى ولو توافرت لهذا الشعر رفعة المعنى، وجمال اللفظ؛ ولا يختلف عاقلان في أن الشعر الجيد هو امتزاج والتئام بين جميع عناصره وخاصة الوزن والقافية والإيقاع الداخلي المنتشرة في ثنايا القصيدة، هذا الالتئام الذي يصنع عذوبة الشعر وجماله.

الموسيقى الخارجية: إن اختيار الشاعر للوزن مرتبط بنفسيته وحالته الشعورية والدكتور إبراهيم أنيس يقر بهاته الحقيقة: فيقول: " في الفرح غير ما في الحزن واليأس ونبضات قلبه حين يمتلكه السرور سريعة يكثر عددها في الدقيقة ولكنها بطيئة حين يستولي عليها الهم والحزن ولابد أن تتغير نغمة الإنشاء تبعا

(1)المرزوقي أبو علي أحمد بن محمد – شرح ديوان الحماسة ط 1 تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة د . ت .

للحالة النفسية. . . "[1]وبهذا فإن الإيقاع أحد المظاهر الخارجية للنغم وهو يتمثل في الوزن والقافية واللفظ.

ولدراسة هذا نأخذ هذا النموذج، وهو القصيدة العينية التي مدح فيها المتنبي سيف الدولة والتي تتضمن وصفا لمعركته ضد الروم، والذي نجد مطلعها عبارة عن مطلع غنائي حزين والذي نشعر من خلال موسيقاه بالكآبة والحزن بل تجاوزها إلى الإنكسار والسخط، يقول المتنبي:

غَيري بِأَكثَرِ هَذا الناسُ يَنخَدِعُ إِن قاتَلوا جَبُنوا أَو حَدَّثوا شَجُعوا[2]

أَهلُ الحَفيظَةِ إِلّا أَن تُجَرِّبَهُمْ وَفي التَجارِبِ بَعدَ ا الغَيِّ ما يَزَعُ

وَما الحَياةُ وَنَفسي بَعدَ ما عَلِمَت أَنَّ الحَياةَ كَما لا تَشتَهي طَبَعُ

لَيسَ الجَمالُ لِوَجهٍ صَحَّ مارِنُهُ أَنفُ العَزيزِ بِقَطعِ العِزِّ يُجتَدَعُ

أَأَطرَحُ المِجدَ عَن كَتْفِي وَأَطلُبُهُ وَأَترُكُ الغَيثَ في غِمدي وَأَنتَجِعُ

فهذه القصيدة من البحر البسيط، والذي أجزاؤه ثمانية وهي:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفِعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفِعِلُنْ فَاعِلُنْ

والإيقاع المعتمد في هذا البحر يصور لنا ويبين الإحساس الذي يعيشه الشاعر من حزن وانكسار وهو ما أدى بالإيقاع أن يتخذ منحى بطيئا وهو ما يدل على المرارة التي بصددها الشاعر، أما القافية فقد اختار المتنبي قافية العين المضمونة والدالة على الألم والتوجع خاصة وأن المتنبي يستشعر هزيمة المسلمين.

وقد تمسك الشاعر بهذا الحرف وأبقى عليه في كل أبيات القصيدة، ما أضفى عليها انسجاما متناهيا، واتزانا ووقعا لطيفا على النفس.

أما عن ألفاظ القصيدة، فقد وفق الشاعر في اختيارها، فكانت مناسبة خادمة للمعنى والموضوع (ينخدع، الحفيظة، الغي، يجندع،...) هذه الألفاظ تلاءمت وانسجمت مع الجانب الموسيقي فأصبغت النص بطابع الحزن والأسى.

(1). إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو، ط3، 1965م، ص 175.

(2).الديوان . ج2 .ص 221 . 222.

ثم نسير مع القصيدة فتقابلنا ظاهرتان يحرص عليهما المتنبي في سائر شعره وهما ظاهرتا الطباق والمقابلة، فنجدهما في قوله "إن قاتلوا جبنوا وإن حدثوا شجعوا" فهو شغوف بالطباق والمقابلة بين الألفاظ والمعاني، ونجد المقابلة أيضا في قوله:

أَهلُ الحَفيظَةِ إِلّا أَن تُجَرِّبَهُمْ وَفي التَجارِبِ بَعدَ ا الغَيِّ ما يَزَعُ[1]

ومن مظاهر الموسيقى الخارجية التي يحرص عليها المتنبي كثرة استعماله للأسلوب الإنشائي، من استفهام وتعجب ونداء يتصل اتصالا وثيقا بالموقف النفسي من ناحية ويعطي تنوعا موسيقيا في القصيدة الشعرية من ناحية أخرى [2]

الموسيقى الداخلية: أما الحديث عن الموسيقى الداخلية فهي انعكاس للحالة الشعورية التي يعيشها الشاعر، وبما يعتمد عليه من الملكة الإيحائية للحروف، والكلمات، وما هذا في الحقيقة إلا استجابة للإيقاع النفسي الذي هو مصدر القصيدة الشعرية.

ويقول في ميميته (ملومكما يجل عن الملام) التي يصور فيها الحمى التي أصابته في مصر نتيجة آلامه النفسية:

وَمَلَّنِيَ الفِراشُ وَكانَ جَنبي يَمَلُّ لِقاءَهُ في كُلِّ عامِ[3]

فاختار المتنبي لهذا الإيقاع الموسيقى الذي تمثله تفاعيل بحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن) وإن تبدأ للوهلة الأولى والنظرة السطحية مخالفا للجو النفسي والقافية الطلقة دون المقيدة، المشتملة على مد يصور البحث عن الإنطلاق والتحرر من القيود، وصوت الروي (الميم) الذي يحتاج في نطقه إلى انفراج الشفتين بعد غلق ربما في إشارة إلى تمني انفراج الكربة أو إعلان التمرد عليها ينم عن توظيف عبقري للأداة الشعرية في المحاولة لمحو هذا الجو الكئيب الذي لا يليق بفارس مغوار عالم بالصحراء ومسالكها. بل بأوان سقوط المطر فيها فيقول:

(1)الديوان ، ج2.ص221.

(2). أيمن محمد زكي العشماوي . قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني ، ص 228.

(3) . عبد الله التطاوي : القصيدة العباسية . ص 292 .

فَقَد أَرِدُ المياهَ بِغَيرِ هادٍ سِوى عَدِّي لَها بَرقَ الغَمامِ[1]
يُذِمُّ لِمُهجَتي رَبّي وَسَيفي إِذا اِحتاجَ الوَحيدُ إِلى الذِمامِ

ثم يختم قصيدته هذه مسديا النصح للقارئ بصورة فردية، ما يخلق المودة بين القارئ والشاعر، بأن يتمتع بالدنيا في كل أحوالها وتقلباتها، فيقول:

تَمَتَّع مِن سُهادٍ أَو رُقادٍ وَلا تَأمُل كَرًى تَحتَ الرِجامِ[2]
فَإِنَّ لِثالِثِ الحالَينِ مَعنىً سِوى مَعنى اِنتِباهِكَ وَالمَنامِ

وما يسترعي الإنتباه، تلك المحسنات البديعية المتمثلة في الجرس الموسيقى أو الموسيقى الداخلية بين (سهاد) و (رقاد) وكذلك الطباق بينهما وبين انتباه ومنام فقد كان مزاج المتنبي في هذه القصيدة مزاج من المرض والسخط والألم والخيبة فصورةُ تصويرا بليغ الأثر، بلفظ قوي على عاداته ونظم موسيقي خلاب الرنة. فالموسيقى في شعر المتنبي سواء أكانت موسيقى خارجية تتمثل في الوزن والقافية وفي التقسيمات اللفظية داخل البيت، أم كانت موسيقى داخلية نفسية، فهي عنصر جوهري في قصيدته الشعرية يؤكد ما فيها من مضامين، ويتأثر بما يسيطر عليها من انفعال ويؤثر بالتالي في تكوين التجربة الشعرية وهو بذلك يحقق ما أكدته فلسفة الجمال الحديثة التي لا تنفصل في التجربة الفنية بين الشكل والمضمون.

وقد لاحظنا من خلال شعر المتنبي أن قافية "اللام" هي أكثر القوافي تداولا. وقد اهتم الشاعر اهتماما عظيما بموسيقى القافية من حيث النطق والصوت والدلالة، فنجد سبعه أحرف لم ينظم فيها المتنبي قافية إطلاقا وهي "الثاء" و "الخاء" و "الصاد" و "الضاد" و "الطاء" و "والظاء" و "الغين" فهذه الحروف مشتقة في القافية من الناحية الصوتية، فنجده يستخدم أداة النطق الإنساني المتمثلة في حروف القافية بناء على دراسة واختيار دقيق ويبين هذا أن المتنبي يحاول أن يدمج موسيقى القصيدة و الخصائص الصوتية للقافية.

الصورة:

(1). الديوان . ج2 . ص 222.

(2). نفس المرجع .

إن الصورة من أهم عناصر العمل الإبداعي الشعري، وأحد مقومات جودته وقد أولى لهما الدارسون والنقاد عناية خاصة سواء تعلق الأمر بالقدامى أو المحدثين.

وتعد معيارا فنيا في دراسة الشعر ونقده بوصفها قيمة جمالية تحددها أخيلة الشعراء، وبراعتهم في اختيار الأدق وقعا على نفسية متلقيهم لأنها "تمثيل وقياس نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا" فضلا عن كونها وسيلة لنقل فكرة الأديب وعاطفته وهي تستوعب أبعاد الخيال المدرك ولا مدرك في آن"[1] فالخيال المجسم بأبعاد الصورة سواء أكانت متأنية من بيئة الشعراء المحيطة بهم دراسة أم ماثلة شاخصة أمام أبصارهم، كفيل بتحديد الأبعاد المتمثلة بصفاء الذوق ورقة المشاعر.

فالصورة حادثة ذهنية مرتبطة نوعيا بالإحساس، فعندئذ تكون حيويتها كامنة في الحدث الذهني فضلا عن كونها منهجا لبيان حقائق الأشياء.

ويوعز استخدام المصطلح النقدي "صورة" إلى اتصال الثقافة العربية الحديثة بالثقافة الغربية فالصورة كما نعتقد هي الترجمة للمصطلح الغربي "IMAGE" وهو ما يفسر لنا اعتماد النقاد العرب المحدثين على تعريفات الغربيين للصورة [2] كما أن الصورة أيضا هي وسيلة الأدب إلى التشخيص ولهما طرائق عديدة منها التشبيه والاستعارة والمجاز والرمز والأسطورة وغيرها من هذه الطرائق التي تمكن الأديب من أن يثير بألفاظه المختارة وصوره الجديدة كل ما يمكن إثارته في نفس القارئ من مشاعر وذكريات، فلا يقتصر في أداء المعنى على مجرد سرده وبسطه بطريقة مستقيمة مباشرة، وتأتي فاعلية الصورة من كونها تمثيلا للإحساس "فالذي يضفي على الصورة فاعليتها، ليس هو حيويتها ووضوحها بقدر ما تتميز به هذه الصورة من صفات باعتبارها حدثا عقليا له علاقة خاصة بالإحسان"[3] والفن في حقيقته طائفة من الصور التي يعبر من خلالها الفنان على قدرته على رؤية الواقع واكتشاف الحقائق التي تتجلى من خلال الصورة فيستطيع الآخرون رؤيتها في أثرها الفني، والصورة الشعرية ليست تعبيرا منتقى قصد به أن يدل على فكرة مجردة حدد الشاعر معالمها، ثم راح

(1).www.gogle.com الصورة الشعرية عند يحي الغزال ، د/محسن اسماعيل محمد .

(2). محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية (دط) ، 1975 ، ص 78.

(3).السعيد الورقي ، في الأدب النقد الأدبي ، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية ، مصر ، (دط) ، 1989 ، ص 59 .

يتأمل تفاصيل الطبيعة من حوله ليختار أكثرها مناسبة واتساقاً لتصوير فكرته، ولكنها انبثاق تلقائي يفرض على نفسه تعبيرا عن لحظة نفسية انفعالية تريد أن تتجسد في حالة من الانسجام مع الطبيعة من حيث هي مصدرها البعيد ومن ذلك، فالصورة ليست أداة لتجسيد شعور أو فكرة سابقة بل هي الشعور والفكر و ذاته،لقد وجد بها ولم يوجد من خلالها.

إن المبدع في خلقه الفني لا ينشأ اعتباطيا، بل إن الصفة المميزة للشاعر هي قدرته على استشعار ما في الطبيعة من صور وما في ذاته من أفكار، وما في حياته من صور الطبيعة لتشكيله فتكون "صورة لفكرته وهو ليست صورة لذاتها وذلك لأن الصورة ليست تسجيلا فوتوغرافيا للأشياء فإننا نجد الصورة ربطا بين عوامل الحسي المختلفة"[1] والشاعر أو الفنان لا يكفيه التأمل فيها فحسب، بل يسعى دائما إلى فهمها وإبراز حقائقها الجوهرية، فهو مطالب ألاّ يقف في حدود إحصاء أشكالها وألوانها ومن هذا المنطلق "فالصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس إلى جانب ما لم يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية، أو يقدمها الشاعر أحيانا كثيرة في صور حسية"[2].

إن الحديث عن الصورة الشعرية يسوقنا إلى الحديث عن أهم عنصر في تكوين وتشكيل الصور المختلفة ألا وهو الخيال، لأن الشاعر لا يخضع لمنطق الأشياء المركبة في الواقع الملموس وإنما يرتكز على عالم الأحلام والإلهام فينظر للعالم ببصيرته لا ببصره، وخيال الشاعر يمكنه أن يرقى و يسمو في نظرته للعالم الخارجي، فالأشياء التي يراها الآخرون عادية ولا يولونها اهتماما فإنها تترأى للشاعر بنظرة مخالفة ويضفي عليها خياله مسحة جمالية مرتدية أزهى الثياب وبالتالي تروق أنفس وذلك من خلال العلاقات الجديدة التي تربط بها الأشياء فجودة الشاعر مصممما ألمت بعنصري الموسيقى واللغة، فإن صوره لا تكتمل بدون خيال "لأنه موهبة ينفذ بروح الأديب إلى أسرار الوجود واكتشاف الحقائق المستكينة وراء مظاهر الأشياء وتجعله يحلق طويلا في أجواء وعوالم جديدة مليئة بالرؤى الجذابة

(1).علي البطل : الصورة في الشعر العربي حتى القرن هـ ، دار الأندلس ، لبنان ، ط 9 ، 1981 ، ص 31 – 32.

(2). المرجع نفسه ، ص 3 .

والصور الخلابة والموسيقى الساحرة. . . "[1] والمبدع أو الفنان الحقيقي هو الذي لا يتجسد الواقع أمامه وفي خياله فعناصر الطبيعة تنصهر، ويعاد تشكيلها وتركيبها بصورة أو بأخرى بحسب قدرة الفنان ودرجة إبداعه.

وبالعودة إلى شاعرنا "أبو الطيب" لرؤية مقدرته على الخلق والإبداع في هذا المجال، أي تشغيل الصور، نجد أن شعره قد اصطبغ بصبغة بلاغية، إلى درجة أنه يرتقي إلى مستوى ما يطلق أفق الإنتظار في نظرية التلقي أو نهاية حسن الإبداع كما هي عبارة البلاغيين القدماء أحيانا فيصعب علينا الغور في مفرداته وعباراته معا، ولعل أهم ما نستشف فيه هذا الإعجاز البلاغي هو شعره في السيفيات والحكم، ومن ذلك قوله:

عَلى قَدْرِ أهْلِ العَزْم تأتي العَزائِمُ وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المكَارمُ
وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها وَتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِمُ[2]

وقد تجلى إبداع المتنبي وبراعته في دقة التصوير، وخاصة في وصف المواقف التي تهزه وتعجبه وتؤثر فيه، فهو يصور حركة سيف الدولة ضد جيش الروم، فهو لم يكن يشاهدها بعينه فحسب وإنما كان يحياها بمشاعره وآماله وانفعالاته بحيث يتاح له التصوير الدقيق والمؤثر. فتتضح الصورة في الحياة والحركة، يقول:

وَقَفْتَ وَما في المَوْتِ شكٌّ لوَاقِفٍ كأنّكَ في جَفنِ الرّدَى وهْوَ نائِمُ
تَمُرّ بكَ الأبطالُ كَلْمَى هَزيمَةً وَوَجْهُكَ وَضّاحٌ وَثَغْرُكَ باسِمُ
ضَمَمْتَ جَناحَيهِمْ على القلبِ ضَمّةً تَمُوتُ الخَوَافي تحتَها وَالقَوَادِمُ
نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ كُلّهِ كمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدّراهِمُ[3]

زيادة على براعة الشاعر في التصوير ودقته، فالدارس لهذه الأبيات يرى جليا مظاهر التحسيس البياني دون أن يكون معتمدا أو مقصودا فلم ينقص من جماليات النص لأن هذا التحسيس صادر عن طبع سليم وذوق رفيع، وبعملية إحصائية نجد ما يلي:

(1). عمر الموسيقي : الأدب الحديث ، ج2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3 ، 1967 ، ص 313.
(2). الديوان ، ج 3 ، ص 378.
(3). الديوان ، ج3 ، ص 386-387.

المحسنات البديعية: ويندرج ضمنها:

- الجناس: (العزم – العزائم)، (الكرام – المكارم).
- الطباق: (يعظم – يصغر)، (عين الصغير – عين العظيم).
- التصريع: العزائم – المكارم.

أما عن البيان:

- التشبيه: في قوله: كأنك في جفن الردى وهو نائم.
- الاستعارة: في البيت نفسه، حيث أن الشاعر شبه الموت بالشخص النائم بحيث حذف المشبه ودل عليه أحد لوازمه (الجفن).
- أما الكناية: فنجدها في البيت نفسه وهي كناية عن الشجاعة والمخاطر المحدقة به (والمعنى وهو سيف الدولة)
- ومن الكناية كذلك قوله: تمر بك الأبطال كلمى هزيمة فهي كناية عن الشجاعة والبطش.
- ومن الاستعارة أيضا قوله: ضممت جناحيهم على القلب ضمة حيث شبه الجيوش بالطائر والجناحين، فحذف المشبه به، وأبقى على ما يدل عليه وهو (الجناحين).

ومن التشبيه أيضا في قوله:

نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ كُلّهِ كمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدّراهِمُ[1]

ففي هذا البيت شبه المتنبي المهزومين بالدراهم التي تنثر فوق رأس العروس وفي البيت ذاته كناية عن كثرة العدد.

فصورة المتنبي الشعرية صورة ملحمية يقوم بعرض وقائع الحرب عرضا إيجازيا مع تفصيل مكاني دقيق مطعم بسرديات حكائية، وهكذا أضفى المتنبي جمالا ورونقا للإبداع الفني المتلقي، وهو ما

(1)جورج عبدو معتوق : المتنبي ، دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1985 ، ص 37.

يكسبها أيضا صفة الخلود. فهو يسعى جاهدا إلى ابتكار صور شعرية جديدة، فيها توافق يتناسب مع طموحه وسعيه وتمرده وبحثه عن الجديد.

ب. الخصائص الفكرية:

إن الأفكار من أهم عناصر العمل الأدبي ومقوماته، وهي دعامة الإعتراف لقيمته والأديب يتناول – عامة – في التعبير الأدبي المواضيع التي ترتبط بالتجربة الإنسانية والتجربة المقصودة لا تقتصر على تجربة شخصية عاناها الأديب وخصها باهتمامه. بل تمثل كافة ميادين النشاط البشري وبذلك تكون التجربة الشخصية واحدا من مناهل الأدب الهامة تضاف إليها التجربة الإذاعية، حيث إن المحيط الاجتماعي بكل تعقده وغناه وتشابكه هو المعين الذي لا ينضب. [1] وموقف الأديب الأصيل من الموضوع الذي يطرقه هو موقف المحامي في موقع الدفاع، يدعم رأيه بكل مثير ودقيق وذكي من الأفكار معتمدا على عنصر الجد والصدق والقوة في أفكاره وعلى ما فيها من سمو وإنسانية ودعوة إلى الحياة، وقد يناصر الأديب قضية، لا يناصرها غيره ولكن ذكاءه يجعله يحشد لدفاعه عن هذه القضية كل البراهين التي تحمل القارئ أو السامع إلى الاقتناع والتأثر [2] وضمن هذا المنظور تندرج الأفكار التي عبر عنها المتنبي في حكمه، حيث دارت هذه الحكم حول عديد من قضايا الحياة فتناولت أخلاق الناس وطباع المجتمع ونظرة الشاعر إلى العديد من الظواهر والمظاهر. وهي الحكم – عموما – صادرة عن عقل الشاعر وقلبه وفق نظرة متميزة للحياة وفلسفة خاصة للكون.

وعلى العموم. إن حكم المتنبي قد اتصفت بخصائص فكرية نفصل القول فيها على النحو الآتي:

1. الحياة تقوم على العزة والشرف: حيث أن الشاعر نوه بالحياة في أشرف صورها وأكرم معارضها حيث تسلم من كل ضيم وهوان ومن ذلة ومسكنة :

عِشْ عَزيزاً أَو مُت وَأَنتَ كَريمٌ بين طَعنِ القَنا وخفْقِ البنودِ

(1). Voir Miquel,Amdre Le litteration ouale p125 . .

(2). Idem

فَاطْلُبِ العِزَّ في لظَى وَدَعِ الذُّ لَّ وَلَو كانَ في جِنانِ الخلُودِ [1]

ليس في الحياة التي يريدها المتنبي إلا ألفاظ الفن والمجد والسؤدد والكرامة.

2. ذم الزمان وأهله: وآوتي المتنبي نفسا جبارة تسامت به إلى أرفع الدرجات، غير أن الأقدار خالفتها، فأخفقت مرارا، فأفضى بها الإخفاق المتشابع إلى التشاؤم بالزمان وأهله، وقد تشاءم بأهل زمانه لأنه رأى فيهم أعداء حسادا يكيدون له، ويحاولون دون تحقيق آمالهم. ورأى فيهم أيضا من ساعده الحظ فبلغ أعلى الرتب وهو عنده لا يستحق هذا المقام فكره زمانه وأشار إليه تحقيرا بقوله:

أُريدُ مِن زَمَني ذا أَن يُبَلِّغَني ما لَيسَ يَبلُغُهُ مِن نَفسِهِ الزَمَنُ[2]

3. وكره أهل زمانه، وصغرّهم ورماهم بأقبح الأوصاف، فهم قوم ليس الإحسان عندهم في صنع الجميل وإنما في ترك القبيح :

إنّا لَفي زَمَنٍ تَرْكُ القَبيحِ بهِ من أكثرِ النّاسِ إحْسانٌ وَإجْمالُ[3]

ويشتد تشاؤمه بالزمان وأهله إلى حد القول بكره النسل :

وَما الدَهر أَهَلٌ أنْ تُؤمَل عِنْدَه حَيَاةٌ وَأن يَشْتَاق فيه إلى النَسْلِ[4]

قد قضى على أهل زمانه باللؤم والدناءة فقد أخذ ينعي مودتهم ودينهم :

فَلَمْ أرَ وُدَّهُم إلاَ خِدَاعًا وَلَمْ أرَ دِينَهُم إلاَ نِفَاقًا[5]

أ. الشجاعة والعقل: يقدس المتنبي العقل كما يقدس الشجاعة لأن الشجاعة لا تبلغ بصاحبها المراتب العليا ما لم تكن مقرونة بالعقل:

الرَأيُ قَبلَ شَجاعَةِ الشُجعانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المحَلُّ الثاني[6]

فَإذا هُما اِجتَمَعا لِنَفسٍ مَرَّةً بَلَغَت مِنَ العَلياءِ كُلَّ مَكانِ

والعقل عنده لاكفاء له في التعظيم سوى الشرف.

---

(1).العبكري : التبيان في شرح الديوان . ج1 .ص 321-322 .

(2).المصدر ، ج4 ، ص 234 .

(3).المصدر نفسه ج3 . ص 287 .

(4). المصدر نفسه .

(5).المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 52 .

(6). المصدر السابق ج 4 ، ص 174 .

يَهُونُ عَلَيْنَا أنْ تُصَابَ حُسُومَنَا وَتَسْلَمُ أَعْرَاضٌ لَنَا وعُقولُ[1]

وذلك لأن المتنبي يعد العقل قدرة فطرية يختص بها الإنسان وحده دون سائر المخلوقات الأخرى، ومن حرم نعمة هذه القدرة كان أقرب إلى البهيمة :

لولا العُقُولُ لَكَانَ أَدنى ضيغمٍ أدْنى إلى شرفٍ مِنْ إنسانِ [2]

ويبلغ تعلق الشاعر بالعقل إلى حد اعتبار الشقاء في رحابة نعمة:

ذو العقل يَشْقَى في النَعِيمِ بِعَقْلِهِ وأَخُو الجَهَالة في الشَقَاوة يَنْعَمُ[3]

ب. المال: كان يرى أن المال عصب المجد وأن لا قوة إلا به، فعظم جانبه، ولم يسرف في إنفاقه حفاظا على المجد أن ينهار:

لا مجدٌ في الدُنيَا لِمَن قَلَّ مالهُ ولاَ مَال في الدُنْيَا لِمَن قَلَّ مجدَهُ[4]

فحبه للمال إذن من أجل المجد وحده، فإذا ذهب المجد أصبح المال لا قيمة له.

والحقيقة أن الحديث عند أبي الطيب المتنبي، حديث يطول وفي سبيله يسهل التناقض في إيداع الرأي. وإن هو إلا المزاج الشاعري، يخضع لشتى الانفعالات الوجدانية ويتطور مع مراحل النضج التي يشهدها الشاعر ولكنه يتطور أبدا نحو هدف "المجد" الذي كان بالنسبة للمتنبي بمثابة "الفردوس المفقود" يحن إليه أيما حنين.

3. السخط على الملوك والحكام: نقم المتنبي على الملوك لأمرين أولهما أنه كان يرى نفسه أحق بالملك من غالبيتهم إن لم يكن منهم جميعا:

وَفُؤادي مِنَ الملوك وإن كا ن لِساني يَرَى من الشُعَرَاء[5]

والثاني تألمه من رؤية من يسعفهم الحظ وهم جهال جبناء:

أرانبٌ غَيرَ أنهم مُلوك مُفَتَحّةٌ عُيُونَهم نِيَامُ [6]

(1). المصدر نفسه ج3 . ص 109 .

(2). المصدر نفسه ج4 . ص 174 .

(3). المصدر نفسه ج4 . ص 124 .

(4). المصدر نفسه ج2 . ص 23 .

(5). المصدر نفسه ج1 . ص 36 .

(6). المصدر نفسه ج4 . ص 70 .

ومهما يكن من أمر فالعبرة بالفعل والعمل لا بالمنصب:

إنْ لَمْ تكُنْ نَفْسُ النسيب كَأَصْلِه فماذَا الذيْ يُغْنِي كَرَم المناصِبَ[1]

4. السعي إلى تحقيق المجد بالفعل والإنجاز وليس باللفظ والكلام: أدرك المتنبي منذ نعومة أظفاره أن الحياة يتحكم فيها منطق القوة وأن معالي الأمور لا تتحقق فيه إلا بمغالبة الصعاب وتكبد المتاعب والمشاق:

ولا تَحْسَبَنّ المجْدَ زِقّاً وقَيْنَةً فَما المجْد إلاَ السيف الفتكة البِكْرُ[2]

وكذلك:

لا يُدْرِكُ المجدَ إلاَّ سَيِّدٌ فَطِنٌ لِمَا يَشُقُّ على السَادَاتِ فَعَّالُ[3]

أما الشاعر فقد آمن حق الإيمان بهذه الحقائق ولهذا كان له أن صرح:

وَمَنْ يَبْغِ مَا أَبْغِيْ مِنَ المجدِ والعُلاَ تَسَاوى المحَايي عندهُ وَمُقاتِلُ[4]

وهو يؤمن حق الإيمان أن جليل الأعمال لا يتحقق إلا بالسعي والإقدام وتكبد المشاق والآلام.

وأما من يرضى بالمذلة، فإن عليه أن يطرح هموم السيف والمجد مع:

إذا كنت ترضى أن تعيش بِذِلَّةٍ فَلاَ تَسْتَعِيدَنَّ الحُسَامَ اليَمانِيَا[5]

ولاَ تَسْتَطلينَ الرِّمَاحَ لغَارَةٍ ولاَ تستجيدن العُتاق المذاكيا

وكثيرون هم الأذلاء الذين هانوا على أنفسهم، فهانوا على الناس، وأصبحوا كالأموات لا تؤثر الجروح في أجسامهم ولا في نفوسهم :

وَمَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَليه مَا لِجُرحِ بِمَيِّتٍ إِيلاَمُ[6]

(1). المصدر نفسه ج1 . ص 155 .

(2). المصدر نفسه ج2 . ص 149 .

(3). المصدر نفسه ج3 . ص 279 .

(4). المصدر نفسه ج3 . ص 177 .

(5). المصدر السابق ج2 . ص 282 .

(6).المصدر نفسه ج4 . ص 94 .

5. الغوص في أعماق النفس البشرية والكشف عن ضعف البشر: إن كثرة رحلات المتنبي إلى العديد من البلاد العربية وإنشاء العلاقات مع أهلها قد أوحت إليه بنظرات حول صنوف البشر.

وها هو ينزل بمصر، فيضيق ذرعا بها لانتشار اللؤم والجور بها وخلوها من الكرام حيث عم الجهل ، العبيد والأحرار والتبس الصريح النسب بالموالي، حتى إنه ليتساءل عما أصاب الناس من تملك العبيد واللئام عليهم، أهو حديث عهد أم هو قديم، كان فيما تقدم من الزمان ؟.

أَما في هَذِهِ الدُنيا كَريمُ تَزولُ بِهِ عَنِالقَلبِ الهُمومُ[1]

أَما في هَذِهِ الدُنيا مَكانٌ يُسَرُّ بِأَهلِهِ الجارُ المقيمُ

تَشابَهَتِ البَهائِمُ وَالعَبْدي عَلَينا وَالموالي وَالصَميمُ

وَما أَدري أَذا داءٌ حَديثٌ أَصابَ الناسَ أَم داءٌ قَديمُ

ويخالط قوما فيجدهم طائشي اللب، لا خير فيهم فيتبرأ من الانتساب إليهم: [2]

وَدَهرٌ نَاسه نَاسٌ صغَارٌ وَإِن كَانَت لَهم جثَثٌ ضِخَامُ

وَمَا أَضَنَّا مِنهُم بالعَيشِ فيهم وَلَكِن مَعْدَن الذَهبِ الرِغَامُ

وعندما يعيش المرء وسط مثل هؤلاء القوم، لا يسعه إلا أن يتحفظ من صداقتهم وإن كثر منهم التملق واللين في المعاملة ظاهريا:

خَلِيلُكَ أَنت لَا مَنْ قُلتَ خِلِّي وإنْ كَثُرَ التجمُّل والكَلَامُ [3]

فهؤلاء القوم لا يؤتمن جانبهم، إن لا عقل لهم وليس لهم حفاظ على الذمة:

ولَو حيزَ الحِفَاظ بِغَير عَقْلٍ تَجَنّب عُنقٌ صَيْقَله الحُسَامُ [4]

وكيف للإنسان أن يطمئن إلى هذا الصنف من البشر وهو لا يحرك ساكنا إزاء الأذى فلا يزيدهم سكونهم ذلك إلا شقاء وضعفا، والحياة في ظل الذل والهوان تهون فيصبح الموت خيرا منها، أيعتقد هؤلاء القوم أن تصرفهم هذا ضرب من الحلم ؟ كلا! إن الحلم في مثل هذا الموقف المبني على الضعف والعجز أقرب إلى اللؤم:

---

(1)المصدر نفسه . ج4 .ص 282 .

(2). المصدر نفسه . ج4 .ص 70 .

(3). المصدر نفسه . ج4 . ص 71 .

(4). المصدر نفسه . ج 4 . ص 71 .

واحتِمالُ الأذَى ورُؤيَةُ جانِيـ ـهِ غِذاءٌ تَضْوَى بهِ الأجسامُ[1]

ذَلّ مَنْ يَغْبِطُ الذّليل بعَيشٍ رُبّ عَيشٍ أخَفُّ منْهُ الحِمامُ

كُلُّ حِلْمٍ أتَى بغَيرِ اقْتِدارٍ حُجّةٌ لاجىءٌ إلَيها اللّئَامُ

أما وقد كان الأمر على هذه الحال، إذا باليأس يسود مشاعر المتنبي من جراء فقدانه لأصدقاء أوفياء يأنس إليهم إذا به يطلقها صرخة مدوية تنم حاجة الإنسان إلى كسب صديق يركن إليه وهو أغلى مكسب، ولا سيما إذا كان ما يكسب يسيء إلى عرضه.

شَرّ البِلاد مَكَانٌ لاَ صَدِيق به وشّر ما يَكْسبُ الإنسانُ ما يَصِمُ[2]

والغيبة والنميمة فيجيبهم بقوله:

وَإِذَا أتتك مذَّمتي من نَاقص فَهِي الشَهَادةُ لي بأنِي كَاملُ[3]

6. التأمل في ظواهر الوجود وجواهره: وإذا كان للمتنبي أن يقف أمام ظواهر الوجود وجواهره، فقد يتساءل عن معاني الحياة والموت، فكانت معاني الحياة على نحو ما أوضحنا من أصداء الخيبة والمرارة والقنوط من الدنيا التي تتنكر للأكفاء وتحالف الانتهازيين في غالب الأحيان ، وأما الموت . فقد نظر إليها الشاعربصورة عامة مطلقة على أنها إنهاء محتوم للحياة، سواء كان ذلك الإنهاء عن طريق أمر عظيم أو عن طريق أمر حقير:

فَطَعمُ الموْتَ في أَمر صَغير كَطَعم الَمَوت في أَمرِ عَظيم[4]

وهذا الشعور بالموت ولّد في نفسه طموحا فياضا يسعى إلى تحقيقه ولو كان في أبعد الأماكن:

إذَا غَامَرت في شَرف مَرُومٍ فلاَ تَقنعْ بمَا دونَ النُجَوم[5]

كما أبعد عنه كل سلوك جبان:

يَرَى الجُبَنَاءُ أنَّ العجز عَقْل وَتِلْك خَديعة الطَبع اللَّئيمِ[6]

(1).المصدر نفسه ج4 ص 70.

(2).المصدر نفسه ج3 ص 373 .

(3).المصدر نفسه ج3 ص 260 .

(4).المصدر نفسه ج4 ص 116 .

(5).المصدر نفسه . ج4 ص 119 .

(6).المصدر نفسه . ج4 ص 120 .

وجعله يدرك حقيقة الشجاعة:

وكُلُّ شَجَاعة في المرْءِ تُفْنَى ولا مِثْلُ الشَجَاعةِ فِي الحَكِيم [1]

ووقف المتنبي أيضا أمام هذا الكيان البشري المؤلف من روح وجسد، فأدرك بعد إمعان فكر، وإعمال عقل، وعمق تجربة، وتكثيف اختيار، أن الأجساد غالبا ما تنوء تحت أعباء النفوس، إذا كانت مطامح النفس أكبر من احتمال الجسد:

وإذا كَانتِ النُفُس كِبَارًا تعبت في مُرَادها الأجسامُ[2]

وإذا كانت الدنيا تنطوي على الخير والشر، وعلى الصلاح والطلاح وعلى السراء والضراء، فهل هناك خير مطلق أو شر مطلق ؟ بمعنى آخر، هل المصيبة التي تحل بامرئ هي كذلك بالنسبة للآخرين، أم أنها تنطوي على فائدة تصيب غير المصاب ؟

إن المتنبي يجيب على ذلك بأن الأمور نسبية، وأن ما يكون خيرا وفائدة لشخص معين، قد يكون شرا ومصيبة لشخص آخر:

بِذا قَضَتِ الأَيّامُ مابَينَ أَهلِها مَصائِبُ قَومٍ عِندَ قَومٍ فَوائِدُ[3]

ولكن ينتهي الأمر بالمتنبي إلى القول بأن الشر كامن في النفس وهو مذهب مادي لأن أصحابه يزعمون أن الخير في الجسم ويخالفون في ذلك مذهب أفلاطون الذي يقول بأن الخير في النفس والشر في الجسم، وفي هذا السياق يقول:

الظُّلْمُ مِن شِيَمِ النُفُوسِ فإِنْ تَجِدْ ذَا عِفّةٍ فَلَعَلَّهُ لَا يَظْلِمُ[4]

7. الإشادة بالعلم والاتصاف به: إن الحلم من حيث هو الأناة وضبط النفس وإذن فهو من الصفات الأخلاقية العالية وقد حظي باهتمام المتنبي في حكمه فكان له أن عرفه وحدد مفهومه

(1)المصدر نفسه . ج4 ص 120 .

(2). المصدر نفسه . ح3 ص 345 .

(3). المصدر نفسه . ج1 ص 276 .

(4). المصدر نفسه . ج4 ص 125 .

الصحيح. إن العلم في نظر المتنبي صفة أصلية كريمة جديرة بأن يتصف بها المرء ما لم تكن ضربا من الجبن والمساس بالكرامة:

إنِّي أُصَاحِبُ حَلْمِي وَهُو بِي كَرم وَلَا أُصَاحِبُ حُلْمي وهُو بِي جُبنُ[1]

ثم يصحح مفهوم الحلم، حيث يقول بأن الحلم المحمود هو ما كان ناتجا عن قدرة لا عن عجز وضعف وإلا فهو ستار يتستر به اللئام الانتهازيون.

ذلك لأن المتنبي يعد الحلم فطريا غزيريا لا ناتجا عن طول عمر:

وإذَا الحُلُمُ لَمْ يَكُنْ عن طِبَاعٍ لَمْ يَحلِّم تَقَدُمَ الميلاد[2]

ثم يزيد الأمر وضوحا فيبين أن الحلم ليس على المسنين كما شاع بين عامة الناس بل قد يتصف به الفتى الشاب كذلك:

فمَا الحَدَاثَة مِنْ حُلْمٍ بمَانِعة قدْ يُوجَدُ الحِلْمُ في الشُبَانِ والشَّيبِ [3]

والحلم في بعض المواقف قد يتحول إلى جهل إذ تعرض المرء إلى المظالم وذلك حتى لا يفهم الناس بأن الحلم ضرب من الخوف والجبن:

مِنَ الحِلمُ أَن تَسْتعمل الجَهْل دُونَهُ إذَا اتَّسعَت في الحِلمِ طُرُقَ المظَالِمِ[4]

ولكن الإخوان والخلان جديرون بأن تقابل جهلهم بالمزيد من الحلم ورباطه الجأش لأن رد الفعل هذا يجعلهم يندمون على تصرفهم الجاهل،ولأنهم جديرون بأن تتسامح معهم بحكم الصداقة التي تربط بهم:

وأحلُمِ عن خَلّي وأعْلَم أَنَّهُ مَتى أجْزِهِ حلِمَا عَنِ الجَهْلِ يَنْدَمِ[5]

وهكذا نلاحظ أن الأفكار التي شملتها حكم المتنبي تناولت العديد من قضايا الحياة، فتناولت الأخلاق والمجتمع وترجمت عن طموحه ونظراته إلى الحياة والموت،وكان الشاعر يسوق حكمه مراعيا سياق القصيدة فكانت هذه الحكم بمثابة الأعمدة التي تدعم بنيان معاني قصيدته.

(1). المصدر نفسه . ج4 ص 238 .

(2). المصدر نفسه . ج2 ص 33 .

(3). المصدر نفسه . ج1 ص 170 .

(4). المصدر نفسه . ج4 ص 112 .

(5). المصدر نفسه . ج4 ص 136 .

وفي مجمل القول، إن المتنبي في معالجته للمعاني الحكمية قد عبر عن قيم إنسانية عالية تجسد مبادئ نابعة من عمق إيمانه بأفكار تمثلها في حياته. فحكمه ليست مجرد حكم جاءت بها قريحته الشعرية، إنما هي حكم منبعثة عن رؤيته الخاصة بصور جديدة وقيم جديدة ودلالات جديدة حيث يتعمق شاعرنا في هذه القيم مستهدفا بث مقومات الحياة الحقة ونبذ الشعور بالهوان الذي أوشك أن يسيطر على عقلية الإنسان في عصره وأن يطبعها بطابع الضعف والخذلان، وعلى وجه العموم.إن خصائص فكر المتنبي في حكمه يمكن إيجازها بما يأتي:

1. معظم حكمه يدور حول ما يخضع للتجربة وما هو نتيجة الخبرة بالحياة والأيام، وكذلك ما يؤكده واقع الحياة حياته الخاصة وحياة الآخرين حيث عبر عنها متفردا مبتكرا تارة، ومتأثرا بحكم وأقوال الآخرين كفلاسفة اليونان وغيرهم تارة أخرى. يشير إليها دون الوقوف عندها، ثم ينتقل إلى موضعه الأساسي تاركا عملية التحليل والاستقصاء والربط بينها وبين موضوعه لغيره.

2. استخدام الحكمة الرامزة ليخفي مقصده منها عن طريق هذا القناع المتمثل في الحكمة التقليدية العامة التي استخدمها الناس بمعناها المألوف كحكمه أو مثل عام، بينما جاءت عنه المعنى في نفسه موظفا إياها للتعبير عن عواطفه المكبوتة، والرمز لمشاعر لا يستطيع الإفصاح عنها.

3. تتخلل الحكم قصائده إقامة للحجة وإيضاحا للبرهان وليؤكد عن طريقها وجاهة معانيه، وصدق أفكاره ليصل بالمتلقي في النهاية إلى حالة من الامتناع والإقناع والتسليم بالقضية المطروحة، فتجمع الحكمة في داخلها بين المقدمة والنتيجة في آن واحد.

4. حكم تمجد القوة وتجعل منها الغاية والوسيلة في الحياة، فالحياة من منظوره يظفر بها الأقوياء، ولا مكان للضعيف في دنياه، فلا بديل للإنسان عنها ليتمكن من السيطرة والهيمنة وتحقيق مآربه وهي لا تعني عنده القوة المادية كالمال والسيف والعصبية فحسب بل وكذلك معنوية كالعقل والصبر على الشدائد والتصميم على بلوغ الهدف، والتسلح بالخلق الرفيع والإستبسال والموت في سبيل المجد، فالحياة تؤخذ غلابا، ولا تعطى لطالب يفتقر إلى الرمح والسيف والنفس العالية، فلا حياة لذليل أو عاجز أو منهزم، فالموت أخف وطأة على الحر من العيش الذليل، وهذا يوضح أن حكمه جاءت انعكاسا لنفسه القوية التي لا ترضى بغير القوة.

5. استخدام الحكمة كتصوير للمثل العليا التي يريد تحقيقها في الحياة ولكن كثيرا ما عثرت مساعيه، كأنه من خلال هذا النوع من الحكم أراد أن يهرب من الواقع المرير عن طريق الحكمة والمثل الذي يبثه في قصائده وأشعاره، محقق لنفسه نوعا من الرضا لم يحققه له واقعه ولم تسمح به أقداره وظروفه فيرى فيما يقول السلوى والعزاء إذا أراد – والصوت والمعين إذا استهان. والعوض إذا رغب خاصة وأن حياته كانت حافلة بالمزالق والإخفاقات مفعمة بالقلاقل والفشل.

ومهما يكن من أمر فقد استطاع الشاعر أن يترجم من خلالها في صدق عن نفسه وعواطفه وما أحاطها من مؤثرات واضطرابات. وكذلك عن نظرة إنسانية للحياة بكل ما تعنيه كلمة إنسانية من معان.

وفي الأخير، جاءت الحكمة عند المتنبي متعددة ومتنوعة لتصور - إلى حد كبير – نفسيته وشخصيته وحياته، وما يحوطها من غموض وتوتر – خاصة – وأنها تكشف عن الخبيء من نفسه، وصوت مجتمعه وما فيه من اضطراب وتعارض وتناقض المذاهب والفلسفات والثقافات.

كما تبين الحكمة عنده عبقريته حيث إنه استطاع أن يجمع بين فهمه للنفس البشرية والكشف عن مكنونها والقدرة على استخدام المنطق والعقل في معالجة معانيه ليصل بفنه إلى الإقناع والامتاع والبقاء إلى يومنا هذا.

وقد صدق القائل فيه: "ففي أدب لا تحصي فيه كثيرا من شعراء الحكمة، يأخذ أبو الطيب مكانة في الصف الأول بدون منازع، وإذا وزناه بغيره من فناني لغته تعرف بما سحر المتنبي المعجبين به من العرب، وهو لا يبدو لنا حينئذ مجرد مغرم بالأفكار الشائعة، ولكنه ساحر بليغ، يعرف كيف يصقل عباراته بكثير من الفن ويجعلها ذات أسلوب عاطفي سام وذلك لما ألبسها من زينات باهرة". (1)

وذلك لأن أبا الطيب المتنبي "ابن الشعر الذي يقهر به الشعراء مهما ينبغوا، ويقهر به النقاد مهما يبرعوا". (2)

(1). حمودة ، محمد : أبو الطيب المتنبي . ص 140 (نقلا عن ريجيس بلا شير من كتابه التنبي).

(2). حسين ، طه ، مع المتنبي ط2 ، القاهرة ، دار العارف ، 1980 . ص 16 .

خاتمـــــــــة

المتنبي هو الشاعر الذي كتب شعره بالسيف، ومات ولسان الرجل المثالي فكان شاعرًا ذاتيًا وحكيمًا، كله قوة عظمةوكبرياء.

ومن خلال تناولنا لموضوع " الحكمة في الشعر العربي القديم – المتنبي أنموذجاً –عند المتنبي" يمكن أن تجمل نتائج بحثنا فيما يلي:

1. يبدو المتنبي من خلال شعره قوي النفس، يترفع عن اللهو والمجون، لأنه يرى فيه ضياعًا لقدره، وهدرا لكرامته، وكان دوما الشاعر الذي يرفض القهر والظلم.

2. كان الشاعر محتوياً لعصره وظروفه، حيث تأثر فكره وفنّه بما في البيئة الزمانية والمكانية من الظروف السياسيةوالاجتماعية، والحياة الفكرية والأدبية، وماساد العصر من مظاهر الفساد والاضطراب السياسي الأمر الذي أثّر تجربته الشعرية وعمّق نظرته إلى الحياة.

3. ولما كان موضوع البحث يتمحور حول "شعر الحكمة" فكان طبيعيا أن يقف البحث على هذا الجانب، فتم تبيان مظهر شعر الحكمة في نتائج الشاعر حيث جاء هذا النوع من الشعر عاكسا للجانب الإنساني الخاص بالشاعر ولنظرته للأخلاق وللمجتمع، وكذا لطرحه الفياضالذي لا تحده حدود، ولما صادفه من إخفاق وما أحس به من تشاؤم كما عبر عن وجهة نظره في الدين والدنيا والجمال والقبح والمال، وغير ذلك من القضايا التي استلهم منها خبرته بالحياة والأيام مما جعله يصور واقع حياته وحياة الآخرين.

وقد كشفت الحكمة عنده عن حقيقة مؤدّاها، أنه يجد القوة ويجعل منها غايته ووسيلته في الحياة، فاتخذها سبيلا إلى إبراز المثل العليا التي يسعى إلى تحقيقها، واستطاع بذلك أن يترجم بصدق عن نفسه ولما اكتنفها من مؤثرات واضطرابات معبرًا بذلك عن نظرة إنسانية قويمة للإنسان والحياة.

وفي خضم الحديث عن الحكمة في شعر المتنبي ثم تحديد مصادر هذه الحكمة والتي تتمثل في نوعين:

مصادر أصلية :

مصادر أجنبية

فقد تم تفصيل القول في هذين النوعين بما يبين أن المتنبي إنما نبغ في الشعر عموما في نظم الحكمة خصوصا بما توافر لديه من استعداد فطري باستثماره لمعطيات بيئته العلمية والأدبية والثقافية، ثم باطلاعه على معارف وعلوم الأعاجم وفي مقدمتها الفلسفية اليومانية.

4. استطاع المتنبي أن يصوغ شعره عموما وحكمته خصوصا بأسلوب جزل ولغة قوية وتراكيب متينة، موسيقى قوية الجرس تتلاءم وروحه العظيمة الحرة التواقة إلى المجد، وقد كان المتنبي نموذجا

للإبداعالفني، فكان إبداعه في مستوى تطلعاته وطموحاته من جهة، وفي مستوى اعتداده بذاته من جهة أخرى، وقد حظي الشاعر بمكانة لم يحظ بها أي شاعر.

5. لقد مكنت التجربة الشعرية عند المتنبي من إبراز الصورة الكاملة النفسية التي يصدرها حين يفكر في أمر من الأمور من خلال شعره في الحكمة.

وحكم المتنبي التي أوردها في شعره ليست زخرفا يرصع بها شعره، وإنما هي خلاصة تجارب مريرة مر بها الشاعر خلال مراحل حياته التي عاشها متنقلا من حاكم لآخر.

6. كانت المعاني في شعر الحكمة عنده متزاحمة والمشاعر متطاحنة فوق ما كانت الألفاظ تحمله.

وهكذا استطاع المتنبي أن يبلغ بنفسه وشعره أعلى المراتب من أعظم الشعراء، وسيبقى المتنبي دوما الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس.

وفي الختام نشكر كل من ساعدنا في هذا البحث وكل من شاركنا مجهوداتنا نهديه ثمرة نجاحنا.

قائمة المصادر والمراجع

	القرآن الكريم برواية ورش عن نافع
01	ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو، ط3، 1965م.
02	ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: لسان الميزان، ج1، مؤسسة الأعلى للمطبوعات والنشر، ط1، بيروت.1964
03	ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، دار الكتاب الحديث، بيروت، لبنان، ط1، دت.
04	ابن منظور: لسان العرب، ج4، دار الصادر، بيروت، لبنان، ط1، 1992.
05	الإمام البخاري: صحيح البخاري كتاب الأداب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ج4.
06	البرقوقي عبد الرحمان: شرح ديوان المتنبي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، 1424هـ.
07	البرقوقي عبد الرحمان: شرح ديوان المتنبي، ط2، بيروت، دار الكتاب، 1986.
08	البغدادي عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج4، دار الشروق، بيروت، لبنان، (د ط).(د ت).
09	العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسن: التبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا، ابراهيم البياري. ج1. ط 2 .1971
10	القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، مراجعة عبد العال الصعيدي وأحمد عارف، زين، مطبعة صيح القاهرة، 1948م. (د ط)
11	القفطي جمال الدين أبو الحسن: إنباء الرواة على ؟أنباء النحاة، ج2، دار الآثار للطباعة والنشر، (د ط) بيروت. (د ت)

12	المرزوقي أبو علي أحمد بن محمد – شرح ديوان الحماسة ط 1 تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة .(دت). (د ط)
13	الهاشم جوزيف: أبو الطيب المتنبي، لبنان، منشورات دار الشرق، ط2،1961م.
14	الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد: شرح ديوان المتنبي، بيروت، لبنان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1981. ط 1.
15	اليازجي ناصيف: العرف الطيب شرح ديوان المتنبي، بيروت، لبنان، دار الطباعة والنشر، 1981م. ط 2.
16	امين الريحاني: المتنبي رسول العروبة، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ج3، 1954م. (د ط)
17	إبراهيم عريض: فن المتنبي بعد ألف عام، دار العلم للملايين، (د ط)، (د ت)
18	إيمان البقاعي، المتقن في تاريخ الأدب العربي(الموضوعات الأدبية)، دار الرائد، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
19	أحمد أمين: فلسفة القوى في شعر المتنبي، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ج2. 1954
20	أنطونيوس بطرس: الأدب أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، (د ط)، 2005.
21	بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام: ج1، دار مارون عبود، (د ط)، 1979.
22	جلينا يوسف مغنية: الأدب العربي(من ظهور الإسلامإلى نهاية العصر الراشدي)، دار الهلال، بيروت، ط1، 1995.

23	جورج عبدو معتوق: المتنبي، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ط 3، 1985.
24	جورج عبدو معتوق: المتنبي شاعر الشخصية القوية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981.
25	حمودة محمد: أبو الطيب المتنبي، دار الفكر اللبناني، 1993. ط 2
26	خليل شرف الدين: الموسوعة الادبية الميسرة ـ المتنبي ـ دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د ط)، 1980.
27	شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، القاهرة، دار المعارف، ط5،1975.
28	شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط7، القاهرة.1974
29	طه حسين: مع المتنبي ، القاهرة، دار العارف، ط2،1980.
30	عاصي ميشال: الفن والأدب، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1970.(د ط)
31	عبد الحميد عنداوي، جواهر الأدب في كنوز كلام العرب، الدار الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2002.
32	عبد الله القطاوي: القصيدة العباسية، قضايا واتجاهات، دار غريب، القاهرة، ط2، (دت).
33	عبد الوهاب عزام: ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، دار المعارف، مصر، ط3، 1968م.
34	علي البطل: الصورة في الشعر العربي حتى القرن هـ، دار الأندلس، لبنان، ط 9، 1981.
35	عمر الموسيقي: الأدب الحديث، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1967.
36	فاطمة محمود الجوابرة، موسوعة روائع الشعر العربي ـ المتنبي ـ دار الصفاء، عمان، ط1، 2003م، 1423هـ.

37	فروخ عمر: الأعصر العباسية، ج2، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1975م.
38	محد عبد الحميد: في إيقاع شعرنا العربي وبيئته، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر ط1، 2005.
39	محمد عبد الرحيم: ديوان المتنبي، دار الراتب الجامعية، لبنان، ط1، 2008م
40	محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية (دط)، 1975.
41	نوابع العرب، أبو الطيب المتنبي، دار العودة، بيروت، ط07/01، 1974م.
42	يسرى سلامة: الحكمة في شعر المتنبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2009م.

فهرس الموضوعات

	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ-ج
مدخل	
مدلولات الحكمة	05
أ- مدلول الحكمة في المعاجم اللغوية	06-05
ب- مدلول الحكمة في القرآن الكريم	07-06
ج - مدلول الحكمة في الفكر الانساني	09-07
مميزات الحكمة	10-09
شروط الحكمة	10
الاغراض البلاغية للحكمة في العصر العباسبي	12-10
الشعر الحكمي	13-12
أنماطه	16-13
الفصل الاول	
مدلول الحكمة عبر العصور	18
أ- شعر الحكمة في العصر الجاهلي	27-18
ب- شعر الحكمة في صدر الاسلام والعصر الأموي	31-27
جـ- شعر الحكمة في العصر العباسي	32-31
الفصل الثاني	
ابو الطيب المتنبي شاعر الحكمة	33
أ- سيرته	39-33
ب- مصادر الحكمة عند المتنبي	55-39

الفصل الثالث	
الاداة الفنية والفكرية في شعر الحكمة عند المتنبي	57
أ- الخصائص الفنية	69-57
ب- الخصائص الفكرية	79-70
خاتمة	82-81
قائمة المصادر والمراجع	88-84
فهرس الموضوعات	90-89